وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة 8 ماي 1945 قالمة

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم التاريخ



عنوان المذكرة :

الأحداث و الأزمات الاقتصادية

في العصر العباسي الثاني

(232 هـ – 334 هـ/ 847 م – 948 م)

(مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ و حضارة المشرق الإسلامي)

إعداد الطلبة :

- ريان عطية
- ميساء بوسبسي

إشراف الأستاذ الدكتور:

رابح أولاد ضياف

اللجنة العلمية المناقشة

الاسم و اللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة
كمال بن مارس	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	8 ماي 1945 قالمة
رابح أولاد ضياف	أستاذ التعليم العالي	مشرفا و مقررا	8 ماي 1945 قالمة
سناء عطابي	أستاذ محاضر "أ"	عضوا مناقشا	8 ماي 1945 قالمة

السنة الجامعية :

1442هـ- 1443هـ / 2021م-2022 م


بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ
أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

سورة الروم

إهـــــداء

أهدي ثمرة جهدي هذه:

إلى روح جدي و جدتي رحمهما الله و أسكنهما فسيح جناته

إلى أمي و أبي الغاليين

إلى أختي و زوجها و ابنها

إلى أخي الوحيد الغالي

إلى جدي و جدتي

إلى أخوالي و أعمامي

أهديها لكم جميعا

ريـــان

إهـــــــداء

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى روح عمتي

الطاهرة رحمها الله

و إلى والدي العزيزان أطال الله في عمرهما

و إلى إخوتي محمد و كريمة و أبناء أختي

و زوج أختي ، و صديقاتي

ميســـــاء

شكر و تقدير

الحمد و الشكر لله تعالى أولا و آخرا على ما تفضل به و

أنعم من عون ورعاية و توفيق.

كما نتقدم بجزيل الشكر و التقدير إلى أستاذنا الفاضل

الأستاذ الدكتور رابح أولاد ضياف، على إشرافه و توجيهه ورعايته

فقد كان لنا خير معين و مرشد، فبارك الله في عمله و في صحته

و جزاه الله خير الجزاء

كما نشكر الأساتذة الأفاضل الذين تفضلوا و تكرموا علينا بقبول

مناقشة الرسالة و تقديمهم لآرائهم السديدة و توجيهاتهم الكريمة.

لكم كل الشكر و التقدير

<u>خطة البحث</u>

مقدمة

الفصل تمهيدي : الوضع العام للدولة العباسية قبل نهاية العصر العباسي الأول

الفصل الأول : الأحداث السياسية و الثورات في العصر العباسي الثاني

المبحث الأول : الوقائع السياسية

المبحث الثاني : الثورات الداخلية

الفصل الثاني : الأزمات الاقتصادية في العصر العباسي الثاني

المبحث الأول : الفساد الإداري و المالي

المبحث الثاني : الأزمات المالية و إفلاس الخزينة

المبحث الثالث : الكوارث الطبيعية و الأوبئة

الفصل الثالث : آثار الأحداث و الأزمات الاقتصادية على الدولة العباسية

المبحث الأول : أثر الأحداث و الثورات على الحياة الاقتصادية

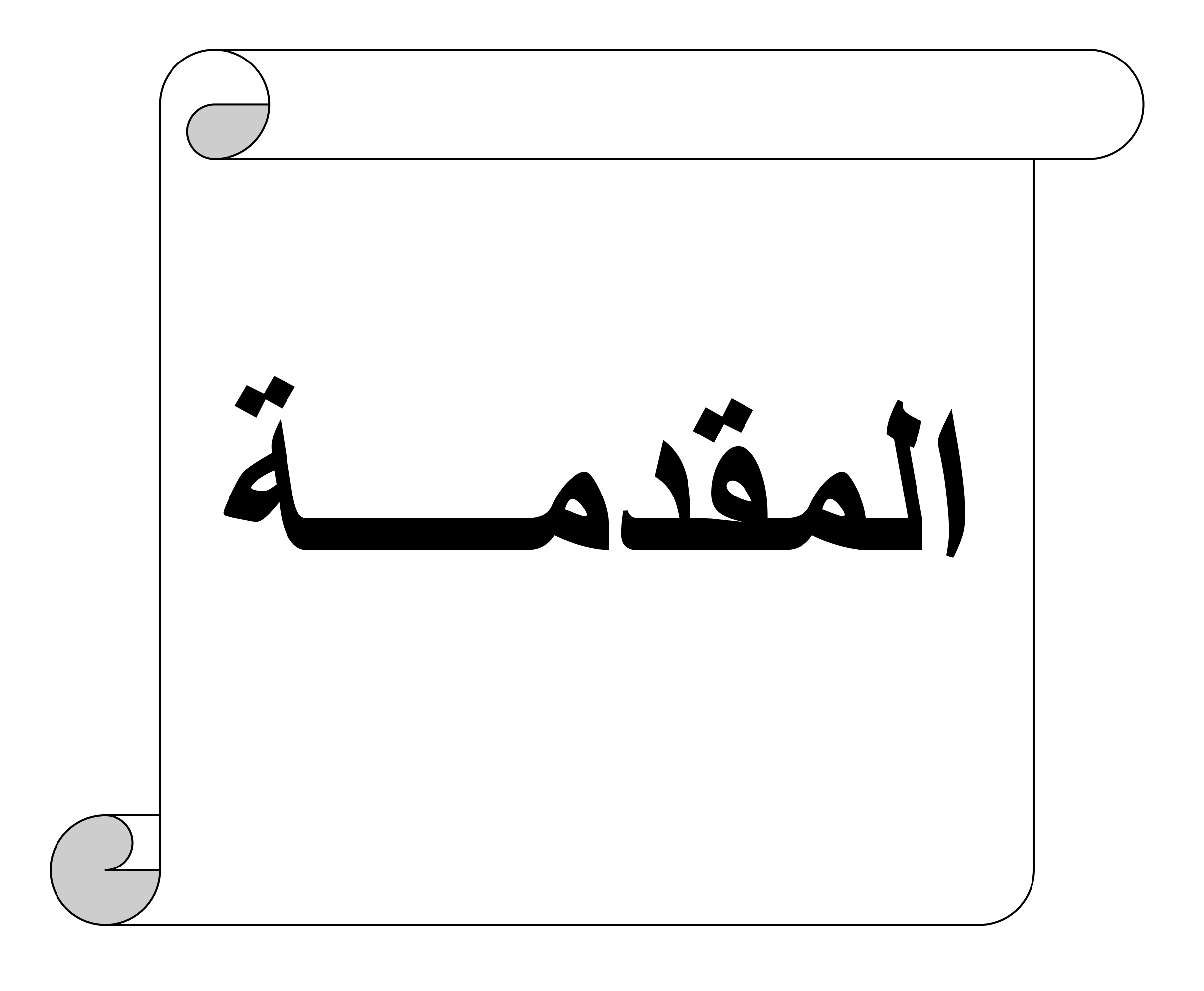
المبحث الثاني : نتائج المترتبة عن الأزمات الاقتصادية

المبحث الثالث : ظهور فئة الشطار و العيارون .

خاتمة

قائمة الملاحق

قائمة المصادر و المراجع


المقدمـــــة

المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم القائل:" طلب العلم فريضة على كل مسلم و مسلمة" و على آله و صحبه و من سار على هديه يوم الدين"

أما بعد :

لقد امتاز العصر العباسي الأول بقوة الخلافة و هيبة السلطان و كان للخلفاء هيبة و قوة و هو ما اصطلح عليه بعصر الخلفاء العظماء، الذين استطاعوا أن يحافظوا على علاقاتهم بعامة الناس، سيما الذين أيدوا الدعوة العباسية، و استطاعت بذلك الخلافة العباسية أن تحكم الأمة الإسلامية باستثناء بعض الأقاليم .

كذلك لم يغفل العباسيون عن مسألة ولاية العهد لمن بعدهم و الذي يعتبر عاملا مهما في امتصاص غضب الأسرة الحاكمة بطمأنتهم بالحكم من بعددهم، و لإسكات معارضة العامة من الناس. و هذا ما يسمح بالتداول عن الحكم بصفة سليمة و شرعية و تثبيت الحكم في البيت العباسي .

و نجد كذلك ما يميز هذا العصر هو اعتماد العباسيين في الجيش و النظم الإدارية و الحكم على العنصرين العربي و الفارسي اللذين أخلصوا للخلفاء و خدموا الدولة و ازدهرت الحياة بمختلف جوانبها و هذا ما أدى إلى استمرارية الدولة قرابة مائة و خمس عشرة سنة و عرفت فيها الدولة قوة السلطة و السلطان و الهيبة و النفوذ .

و لكن ما لبثت الأحوال أن تغيرت في العصر العباسي الثاني الذي بدأ منذ خلافة المتوكل سنة 232 هـ / 847م و يتميز هذا العصر بسيطرة الأتراك الذين قوي نفوذهم بدءا من مقتل المتوكل على أيديهم سنة 247هـ / 761م في سامراء فبدأ بذلك تسلطهم الفعلي

على الخلفاء و الخلافة و زادت سطوتهم فضعف الخليفة و ضاعت هيبته و خرجت السلطة من يديه و تحكم الأتراك في زمام الحكم و قويت شوكتهم و ازداد نفوذهم .

و هذا كله شجع أمراء الأطراف على الانفصال عن الدولة العباسية في المغرب و المشرق، و تدخل الوزراء و القادة و الحريم في شؤون الخليفة و هذا ما أدى إلى تصدع أركان الخلافة و اضطرابها .

و من هيمنة الأتراك أنهم قاموا بإضعاف بعض أنظمة الحكم و من بينها مسألة ولاية العهد، فتحكموا في تعيين الخلفاء فأصبحوا يولون من شاءوا الخلافة و يعزلون من شاءوا بغية تحقيق رغباتهم للسيطرة على منصب الخليفة .

و كان أيضا من نفوذ الأتراك الهيمنة على منصب الوزارة، إذ ضعفت إلى جانبهم شخصيات الوزراء، فكثر عزلهم و مصادرتهم و حبسهم و قتلهم، و كثرت الرشوة و بذل المال للوصول إلى هذا المنصب، كما تدهورت الإدارة المالية للدولة لسوء التسيير الإداري و المالي للوزراء و عدم كفاءتهم.

و هذا ما أثر على الجانب الإداري و الاقتصادي و دخول الدولة في أزمات مالية متكررة .

كذلك ضعف الخلافة العباسية و تفشي الفساد في أوساطها شجع ثورتا الزنج و القرامطة على جمع الأعداء و تهديد الدولة بأعمال السلب و النهب و الحرق و القتل و التدمير، حيث نتج عن هذه الثورات أن تكبدت الخزينة المالية الكثير من النفقات لمواجهتهم و أدى ذلك إلى ظهور سلسلة من أعمال الشغب من قبل الجند المطالبين بأرزاقهم .

و هذه الأحداث و الثورات التي قامت في العصر العباسي الثاني و في ظل سيطرة الأتراك هي السبب في حدوث أزمات اقتصادية و مالية رافقت الدولة طيلة هذا

العصر و هذا ما تبحث فيه هذه الدراسة التي جعلناها تحت عنوان الأحداث و الأزمات الاقتصادية في العصر العباسي الثاني 232 هـ – 334 هـ .

أهمية الموضوع :

و تكمن أهمية دراسة هذا الموضوع و الذي تحت عنوان " الأحداث و الأزمات الاقتصادية في العصر العباسي الثاني 232 هـ – 334 هـ " فيما يلي :

1- الرغبة في معرفة أوضاع الخلافة في ظل سيطرة الأتراك .

2- البحث عن نتائج سيطرة الأتراك على الخلافة .

3- الرغبة في دراسة طبيعة الحياة الاقتصادية للدولة العباسية في عصرها الثاني و خاصة البحث في الأزمات الاقتصادية و التخصص في دراستها و معرفة الأسباب و النتائج .

4- حبنا للتاريخ الاقتصادي لذلك أردنا دراسة جانب منه في العصر العباسي الثاني .

5- كذلك مكننا هذا الموضوع من التعرف على هذه الفترة الحاسمة في عهد الخلافة العباسية و ما صارت عليه من الضعف و الهوان. بعدما كانت من قبل تشهد فترة القوة و الازدهار .

الإشكالية :

و لمعالجة هذا الموضوع و البحث في حيثياته لا بد من النظر في بعض الإشكاليات المتعلقة به و الإجابة عن بعض التساؤلات التي تراود الباحث و هو يبحث في هذا الموضوع و التي ينبغي أن تجيب عنها هذه الدراسة و لعل من أهم هذه الإشكاليات و التساؤلات ما يلي :

ما طبيعة الأحداث السياسية و الأزمات الاقتصادية في العصر العباسي الثاني

232هـ – 334 هـ ؟ و ما تأثيراتها على الخلافة العباسية و على نظامها السياسي و الاقتصادي؟

كيف كانت مجريات الحياة السياسية للدولة العباسية في عصرها الثاني ؟

ما أسباب قيام الثورات المناهضة للسلطة العباسية؟ و كيف انعكست هذه الثورات على الحياة الاقتصادية للدولة ؟

إلى أي مدى ساهم الأتراك في السيطرة على شؤون الخلافة ؟

ما هي أسباب الأزمات الاقتصادية؟ و كيف أثرت على اقتصاد الدولة؟ و ما هي الحلول و الطرق و السياسات التي سلكها الخلفاء للتخفيف منها ؟

ما هي أسباب ظهور فئة الشطار و العيارون ؟

منهج الدراسة :

و قد اعتمدنا في دراستنا على المنهج التاريخي الوصفي و المنهج التحليلي لأنهما المنهجان الملائمان لطبيعة الدراسة، حيث قمنا بجمع المادة العلمية من الروايات التاريخية التي أوردتها المصادر و تحليلها، و الاعتماد على ما تضمنته الدراسات التاريخية الحديثة التي تتقاطع مع هذه الدراسة وفقا لما يتلاءم مع طبيعة موضوعنا تاريخيا و موضوعيا .

حدود الدراسة :

تناولت هذه الدراسة الحدود الموضوعية و الزمانية الآتية :

* أما الحدود الموضوعية فهي تدرس الأحداث و الأزمات الاقتصادية للدولة العباسية .

* أما الحدود الزمانية : فإنها تدرس الفترة التاريخية المتمثلة في العصر العباسي الثاني الذي يمتد بين عامي 232 هـ / 334 هـ حيث تبدأ المدة المذكورة من خلافة المتوكل سنة 232 هـ، و تنتهي مع وصول الخليفة المطيع إلى سدة الحكم عام 334 هـ .

مبررات الدراسة :

1- أهمية الموضوع من حيث أن العصر العباسي يعتبر مرحلة فاصلة بين مرحلتي الازدهار و الانحدار .

2- كما أن هذا العصر يتميز عن بقية العصور الأخرى بازدياد نفوذ الأتراك على الخلافة العباسية .

3- كذلك رغبتنا في معرفة أوضاع الخلافة في ظل سيطرة الأتراك و كيف كانت ملامح هذا العصر و أهم المتغيرات التي حدثت فيه .

4- التطرق إلى الجانب الاقتصادي للدولة العباسية في عصرها الثاني الذي لم ينل حقه في البحث حيث نجد أغلب الباحثين قد تطرقوا في الحديث و البحث عن العصر العباسي الأول

5- كذلك رغبتنا في الاطلاع على الأزمات الاقتصادية و البحث في أسبابها و خاصة أن العصر العباسي الثاني كان فترة انتقال من القوة و الازدهار إلى التدهور و الانحطاط، و عرف فيه كثرة المشاكل و الأزمات .

6- كذلك التعرف على موقف الخلافة إزاء هذه الأحداث السياسية و الأزمات الاقتصادية .

7- كذلك معرفة كيف ساهمت الأحداث السياسية و الأزمات الاقتصادية في انهيار الوضع المالي للدولة العباسية .

الدراسات السابقة :

من خلال اطلاعنا و بحثنا في كثير من الدراسات تبين لنا أن موضوع الأحداث السياسية و الأزمات الاقتصادية في العصر العباسي الثاني 232هـ – 334هـ، ما زال يحتاج إلى مساهمات بحثية لإثرائه و تسليط الأضواء عليه فأردنا أن نساهم و بكل تواضع في حدود إمكانياتنا العلمية و بحجم مذكرة تخرج في الماستر في التاريخ الوسيط أن نلملم شتاته من بطون المصادر و ثنايا المرجع لذلك لما بحثنا في الموضوع من جانب الدراسات السابقة فقد وجدنا أهم دراسة تتقاطع مع الموضوع هي أطروحة دكتوراه بعنوان التاريخ الاقتصادي للدولة العباسية في العصر العباسي الثاني أعدها الباحث فهد مطر المطيري، و الذي تناول فيه عنوان الأحداث السياسية و الأزمات الاقتصادية في العصر العباسي الثاني كفصل أخير في مذكرته حيث أنه تطرق إلى الموضوع بشكل مختصر و غير مفصل حيث أنه لم يتطرق في الحديث عن الأحداث السياسية إلا فيما تعلق بالثورات فقط، كما لم يفصل بين الفساد الإداري و المالي و الأزمات المالية و هذا يؤدي إلى تشويش استيعاب القارئ و كان ينتقل من فكرة إلى أخرى .

فوجدناه في بعض الأحيان يشر إلى الأزمة المالية و نتائجها ثم تكلم أيضا عن نتائج هذه الأزمات في مبحث آخر فتعرض للحديث عن المصادرة فقط و أهمل باقي نتائج الأزمات الاقتصادية .

خطة الدراسة :

أما خطة الدراسة لمعالجة هذا الموضوع فإنها تتكون من فصل تمهيدي و ثلاثة فصول و خاتمة و قائمة المصادر و المراجع و ملاحق، و قد جاءت هذه الخطة متضمنة لعناصر الموضوع على النحو الآتي:

أما الفصل التمهيدي فقد تناول الحديث عن الوضع العام للدولة العباسية قبل نهاية العصر العباسي الأول و ذلك لأخذ نظرة شاملة عن أوضاع العصر العباسي الأول ثم الانتقال إلى بداية العصر العباسي الثاني ليسهل بذلك على الباحث فهم الأحداث و تسلسلها مع بعضها البعض.

و قد اختص الفصل الأول بالحديث عن الأحداث السياسية و الثورات في العصر العباسي الثاني و قد انقسم هذا الفصل إلى مبحثين بحيث تناول المبحث الأول الوقائع السياسية، و تضمن المبحث الثاني الثورات الداخلية .

أما الفصل الثاني فكان بعنوان الأزمات الاقتصادية في العصر العباسي الثاني و يتفرع إلى ثلاثة مباحث بحيث تناول المبحث الأول الحديث عن الفساد الإداري و المالي أما المبحث الثاني فكان بعنوان الأزمات المالية، و تضمن المبحث الثالث الحديث عن الكوارث الطبيعية و الأوبئة .

أما الفصل الثالث و الأخير فقد تناول الحديث عن آثار الأحداث و الأزمات الاقتصادية في العصر العباسي الثاني، و قد جاء في ثلاثة مباحث، بحيث تضمن المبحث الأول أثر الأحداث و الثورات على الحياة الاقتصادية، و اختص المبحث الثاني في الحديث عن النتائج المترتبة عن الأزمات الاقتصادية. أما المبحث الثالث و الأخير فقد تطرق البحث عن ظهور فئة الشطار و العيارون .

أما الخاتمة فقد أوجزنا فيها النتائج التي توصلنا إليها أثناء البحث، و قد ألحقنا البحث بمجموعة من الملاحق .

صعوبات الدراسة :

لقد واجهتنا أثناء إعدادنا لهذه الدراسة بعض الصعوبات و العقبات أهمها :

1/ صعوبة الوصول إلى المادة العلمية المتناثرة في بطون المصادر المختلفة كمصادر الحوادث التاريخية و كتب التراجم و الوفيات و المصادر الجغرافية و غيرها، مما يصعب من مهمة الوصول إلى المادة العلمية، اذ يتطلب ذلك كثيرا من الوقت و الجهد من أجل تجميعها و تصنيفها ثم تحليلها و صياغتها .

2/ قلة المعلومات التي تتحدث عن الحياة الاقتصادية في العصر العباسي الثاني .

3/ ندرة المعلومات التي تحتوي على الكوارث الطبيعية و الأوبئة خاصة في الدراسات الحديثة و في الفترة المتعلقة بالعصر العباسي الثاني .

4/ إغفال المصادر التاريخية الحديث عن الأزمات المالية بشكل مفصل و واضح .

نقد المصادر :

1- تاريخ الرسل و الملوك :

للطبري ، محمد بن جرير المتوفي سنة 310هـ /922م و الذي عاش في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، و يعني هذا أنه كان معاصرا لأحداث بدايات العصر العباسي الثاني، و هو منطلق هذه الدراسة و يعتبر الكتاب من المصادر الأساسية المطولة في التاريخ الإسلامي، و هو مرتب على أساس حوليات يبدأ ابتداء التاريخ مع الرسل و الأنبياء ذاكر أحوالهم و أنسابهم ثم تكلم عن الدولة الإسلامية من هجرة سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم إلى المدينة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، و يضم الكتاب معلومات قيمة من الناحية السياسية و تقل المعلومات الإدارية فيه و قد استفدنا منه كثيرا سيما في الحديث عن الأحداث السياسية و غيرها.

2- كتاب تجارب الأمم و تعاقب الهمم :

لابن مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب (ت 421 هـ / 1030م) من المصادر

المتبعة في البحث، و هو كتاب تاريخي، يهتم بالأمور الإدارية للدولة الإسلامية، و ضمنها النواحي المالية، حيث أفاد منها البحث و كون منها مادة علمية طيبة، و هو يعطي معلومات موسعة عن الحوادث و الأحوال السياسية كما قدم الكثير من الوثائق و الكتب الرسمية التي تتعلق بالنواحي الاقتصادية، و قد تحدث كثيرا عن الأزمات المالية للدولة العباسية، و تحدث كذلك عن المصادرات و مقدارها خلال فترات متعددة من تاريخ الدولة العباسية، و قد أفادنا البحث منه في إطار حديثه عن الأزمات الاقتصادية و خاصة المالية التي واجهت الدولة و بذلك اعتمدنا عليه في أغلب الفصل الثاني و الثالث .

3- كتاب الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء :

لأبي الحسن الهلال بن المحسن بن هلال الصابي الحراني (ت 448 هـ / 1056م) يعتبر هذا الكتاب ذا قيمة كبيرة لفترة البحث، لأنه اهتم بالمؤسسات الإدارية و الأمور المالية فهو بالحق مصدر هام و أساسي في دراستنا هذه خاصة في الفصل الثاني و الثالث .

4- كتاب المنتظم في التاريخ الملوك و الأمم :

لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (597 هـ / 1300م) و هو كتاب حولي يضم معلومات قيمة عن التاريخ الإسلامي، و قد أفاد البحث في كثير من الجوانب و خاصة فيما تعلق بالكوارث الطبيعية و الأوبئة .

5- معجم البلدان :

للحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (626 هـ/ 1228م) يعد من الكتب الجغرافية

المهمة التي لا غنى للباحث عنها، فقد أفادنا في تعريف المواقع الجغرافية التي وردت في البحث .

6- كتاب الكامل في التاريخ :

لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الملقب بعز الذين ابن الأثير الجزري (توفي 630 هـ / 1232م) و كتاب الكامل في التاريخ هو تاريخ عام، اهتم فيه بأحوال العالم الإسلامي و اعتمد في ذلك على المصادر الموثوقة، كما اعتمد في كتابه على طريقة الحوليات. و كتابه يضم معلومات قيمة ذات أهمية لدراسة الحضارة الإسلامية، فهو يورد كثيرا من المعلومات الإدارية و المالية و الاقتصادية و الاجتماعية، و قد أفادنا في جوانب كثيرة من بحثنا و اعتمدنا عليه في أغلب مباحثنا .

7- كما استفادت الدراسة من بعض المصادر المختصة بالوفيات و التراجم و السير أمثال كتاب وفيات الأعيان، لابن خلكان (ت 681 هـ/ 1282م) و كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي (ت 748 هـ/ 1347م) و قد أمدت الدراسة بمعلومات وافية في ترجمة الأعلام .

8- كتاب الفخري في الآداب السلطانية و الدول الإسلامية :

لمحمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقى (ت 709 هـ / 1309م) و كتابه هذا يتناول الأمور السلطانية و السياسات الملكية، ثم يتناول كذلك الحديث عن الدولة الإسلامية، ذاكرا دولة الخلفاء الراشدين ثم الدولة الأموية فالدولة العباسية، و ينتهي كتابه بذكر خلافة المستعصم بالله سنة 640 هـ، و هو يختلف عن غيره من الكتب في أنه اعتمد في تأليفه على الموضوعات، و لم ينهج منهج الحوليات و قد أفاد البحث في مواضع شتى فيما يتعلق بالوزراء و بوصف الخلفاء خاصة و أحوالهم، و بعض الأمور الإدارية و التي تتعلق بالبحث .

نقد المراجع:

اعتمدنا على العديد من المراجع في دراسة هذا البحث و تنوعت بين السياسية و

الاقتصادية و الإدارية، و من أهمها كتاب الدراسات في العصور العباسية المتأخرة لعبد العزيز الدوري و الذي يتكلم عن العصر العباسي الثاني و مختلف الأحداث السياسية و الإدارية و الاقتصادية التي طرأت فيه و قد اعتمدنا عليه في أغلب المباحث .

و كتاب تاريخ العراق الاقتصادي في القرن 4هـ، و هو أيضا لدكتور عبد العزيز الدوري، و هو كتاب يختص بدراسة الجانب الاقتصادي للعراق و قد ساعدنا جدا في دراسة الأزمات الاقتصادية و نتائجها .

كتاب المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية لحسام الدين السامرائي و تناول الحديث على النظم السياسية و الإدارية و الاقتصادية و قد اعتمدنا عليه فيما يتعلق بالجانب الإداري و الاقتصادي للبحث .

و أخيرا نرجوا أن نكون قد وفقنا في معالجة الموضوع بما يتطلبه علميا و منهجيا و الله الموفق .

الفصل التمهيدي:

الوضع العام في الدولة العباسية قبل نهاية العصر العباسي الأول

1- العصر العباسي الأول : 132 هـ - 232 هـ

قامت الدولة العباسية على أثر دعاية سرية اتخذت من حق بني هاشم الشرعي في الخلافة صيحتها السياسية[1].و ذلك لتخليص الموالي الفرس و غير الفرس من حكم بني أمية الجائر رغم هذه الدعاية .

و لتحقيق المساواة المشروعة بحكم الإسلام بينهم و بين العرب في جميع الحقوق الاقتصادية و السياسية و الاجتماعية[2]. و باتخاذ الكتاب و السنة و العدل قانونا بينهم .

و ينتسب العباسيون إلى العباس بن عبد المطلب عم الرسول صلى الله عليه و سلم، فهم عرب قريشون هاشميون. عارضوا قيام الدولة الأموية سنة 41 هـ[3].

كما قادت الأسرة العلوية حركة المعارضة و تعددت ثوراتهم مع أنصارهم الشيعة ضد الأمويين لكنها فشلت، فكان تطلع العباسيين إلى الخلافة منذ سنة 98 هـ ، فبدؤوا دعوتهم السرية سنة 100 هـ ، و استفادوا من أخطاء العلويين و خبرتهم ، فوفروا لدعوتهم كل وسائل النجاح[4].

و سرعان ما أقبلت الجيوش الخراسانية مكتسحة كل ما لقيها من مقاومة من طرف الدولة الأموية حتى قضت عليها نهائيا[5].

---

[1]/ عبد العزيز الدوري ، دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، شركة الرابطة ، بغداد ، 1945 ، ص 10 .

[2]/ شوقي ضيف ، العصر العباسي الثاني ، ط2، دار المعارف، مصر ، ص 9 .

[3]/ نادية حسني صقر ، مطلع العصر العباسي الثاني ، دار الشروق ، ص 28 .

[4]/ المرجع نفسه ، ص 28 .

[5]/ شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص 9 .

و أعلن عن قيام حكم العباسيين سنة 132 هـ لما بويع أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بالخلافة في الكوفة من شهر ربيع الأول[1].

" و كان بدء ذلك و أوله أن الرسول صلى الله عليه و سلم أعلم العباس بن عبد المطلب أن الخلافة تؤول إلى ولده ، فلم يزل ولده يتوقعون ذلك و يتحدثون به بينهم "[2].

كما روي أن الرسول صلى الله عليه و سلم كان يجري على لفظه الشريف ما

معناه البشارة بدولة هاشمية ، " فزعم ناس أنه قال: تكون لرجل من ولدي ، و زعم ناس أنه عليه الصلاة و السلام ، قال لعمه العباس رضي الله عنه: أنها تكون في ولدك، و أنه حين أتاه بابنه عبد الله أذن في أذنه وتفل فيه"[3].

فلما كان وقت صلاة الجمعة خرج أبو العباس السفاح فصلى بالناس ثم صعد المنبر و بايعه الناس و خطب[4]. حيث وصف العباسيين بأنهم حماة الإسلام حيث قال : " الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه دينا ، و كرمه و شرفه و عظمه و اختاره لنا ، و أيده بنا ، و جعلنا أهله و كهفه و حصنه و القوام به و الذابين عنه و الناصرين له"[5].

---

[1]/ ابن خلدون : عبد الرحمان بن خلدون ، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، مر: سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، 2000 ، ج3 ، ص 161.

[2]/ ابن الأثير : أبي الحسن علي بن أبي الكرم بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ، الكامل في التاريخ ، مر : محمد يوسف الدقاق ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،1987 ج5 ، ص 62 .

[3]/ ابن الطقطقى ، محمد بن علي الطباطبا ، الفخري في الآداب السلطانية و الدول الإسلامية ، دار صادر ، بيروت ، ص 143 .

[4]/ ابن كثير ، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن عمر القريشي الدمشقى ، البداية و النهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر ، 1998 ، ج 13 ص 249 .

[5]/ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 65 .

و أشار إلى قرابة العباسيين إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و أن الله خصهم به: " خصنا برحم رسول الله صلى الله عليه و سلم و قرابته، و اشتقنا من نبعته ، و وضعنا من الإسلام و أهله بالموضع الرفيع .

كما اعتبر العباسيون توليتهم للخلافة ميراثا عن النبي صلى الله عليه و سلم فقد وقف عمه داود بن علي على منبر الكوفة يقول : الحمد لله شكرا ، شكرا ، شكرا، الذي أهلك عدونا ، و أصار إلينا ميراثا من نبينا ... "[1] .

و ظهر السواد شعارا للعباسية[2] بعد أن أعلن العباسيون أنهم أصحاب الحق الشرعي في الحكم و الخلافة، و بذلك استأثروا بها من دون أبناء عمهم العلويين مما جعل كثير منها يشرون عليهم طوال فترة حكمهم، كما جعل أنصارهم يدعون لبيتهم العلوي سرا كلما وجدوا الفرصة[3].

كما أخذ الخلفاء يحيطون أنفسهم بالفقهاء و يقربونهم ليظهروا تمسكهم بالدين، و قد أوصى المنصور ابنه المهدي بقوله : " و أهل الدين فليكونوا أعضادك"، و يظهرون غيرتهم بمحاربتهم للإلحاد و الزندقة و يؤكدون في مراسيمهم النواحي الدينية فصارت بردة النبي صلى الله عليه و سلم الشارة الأولى للخلافة يرتديها الخليفة في المناسبات العامة كصلاة العيدين و الجمعة و في الجهاد. و كذا في اتخاذ لقب الإمام الذي كان المأمون أول من اتخذه رسميا[4].

---

[1]/ ابن كثير ، المصدر السابق ، ج 13 ، ص 251 .

[2]/ نادية حسني صقر ، المرجع السابق ، ص 28 .

[3]/ شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص 9 .

[4]/ عبد العزيز الدوري ، النظم الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان ، 2008 ، ص 46 .

و بعد أن كان الأمويين يعتمدون في سلطانهم على رضا رؤساء القبائل أصبح عند العباسيين مقدسا مستمدا من الله [5]، حيث قال المنصور في يوم عرفة: " أيها الناس، إنما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوفيقه و رشده"[6].

و قد كان الخليفة السفاح أسخى الناس ما وعد من موعدة فأخرها عن وقتها، و لا قام من مجلسه حتى يقضيها، و كان سريعا لسفك الدماء فاتبعه في ذلك عماله بالمشرق و المغرب، و كان جوادا بالمال[1].

و عند موت السفاح تولى أخوه المنصور أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي سنة 137 هـ[2]، بعدما قتل أبو مسلم الخراساني صاحب دعوتهم و ممهد لدولتهم[3]. و يعد الخليفة المنصور المؤسس الحقيقي للدولة العباسية ثم تتابع الخلفاء من بعده على مدى أربعة عصور تاريخية امتدت حتى عام 656 هـ [4].

و قد كانت شخصية كل خليفة عباسي تطبع عصره بطابع خاص فقد كان الخليفة العباسي يقوم على رأس حكومة باعتباره مصدر كل السلطات و الملجأ الأخير في كل شؤون الحكومة و المرجع لكل الأوامر المتعلقة بإدارة الدولة .

كما أن خصائص الخليفة العقلية و الخلقية و النفسية هي التي تحدد اتجاهاته

---

[5]/ عبد العزيز الدوري ، النظم الإسلامية ، ص 46 .

[6]/ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ، تاريخ الخلفاء ، دار ابن حزم، بيروت ، 2003 ، ص 210 .

[1]/ المصدر نفسه ، ص 204 .

[2]/ ابن كثير ، المصدر السابق ، ج 14 ، ص 301 .

[3]/ السيوطي ، المصدر السابق ، ص 207 .

[4]/ نادية حسني صقر ، المرجع السابق ، ص 29 .

السياسية و الحضارية[1]، فالمنصور (136 هـ – 158 هـ) اتصف بالهيبة و الشجاعة و الحزم و الرأي و الجبروت، جامعا للمال، تاركا للهو و اللعب و تميز بالحزم و العلم[2] فأصبح عهده عهد جدو التزام، و اشتهر بالتقتير الشديد فكان عهده عهدا اقتصادي في النفقات[3] .

و نشأ المهدي (158 هـ – 169 هـ) نشأة عربية فاتصف بالتدين حيث كان معتدل الخلق و كان جوادا حليما، و اشتهر بالفصاحة و البلاغة و العدل و التسامح[4] فأصبح عهده عصر تسامح و عدل و أمن و رخاء[5].

أما الخليفة الهادي (169 هـ – 170 هـ) وصفه المسعودي بأنه كان قاسي القلب[6]، و وصفه صاحب الفخري بأنه كان شديد البطش[7]، كما قال عنه السيوطي أنه كان جبارا فكثر السلاح في عصره ، فاتصف عهده بالبطش و القسوة [8] .

أما هارون الرشيد فكان من أفاضل الخلفاء و فصائحهم و علمائهم و كرمائهم و في أيامه

1/ نادية حسني صقر ، المرجع السابق ، ص 9

2/ السيوطي ، المصدر السابق ، ص 207 .

3/ نادية حسني صقر ، المرجع السابق ، ص 29 .

4/ ابن الكاز روني، ظهر الدين علي بن محمد البغدادي، مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بن العباس، تح: مصطفى جواد، مطبعة الحكومة، بغداد ، 1970 ، ص 118 .

5/ نادية حسني صقر ، المرجع السابق ، ص 29 .

6/ المسعودي ، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي ، مروج الذهب و معادن الجوهر ، مر : كمال حسن مرعي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2005، ج3 ، ص 270 .

7/ المصدر السابق ، ص 189 .

8/ المصدر السابق ، ص 222 .

كملت الخلافة بكرمه و عدله و تواضعه و زيارته للعلماء في مواضعهم[1] و أصبح عصره هو العصر الذهبي للدولة الذي اشتهر بالنشاط الاجتماعي و الرخاء الاقتصادي و الازدهار الفكري[2].

و أما الخليفة الأمين (193 هـ - 198 هـ) فكان أول الخلفاء من أمه و أبوه هاشميان[3] و كان الأمين كثير اللعب و اللهو منقطعا إلى ذلك مشتغلا به عن تدبير ملكه لذا انطبع عصره بالطابع العربي و رجحت كفت العرب على الفرس ، و انعكست صفاته على المجتمع[4].

أما المأمون (198 هـ -218 هـ) فكان من أفاضل الخلفاء و علمائهم و حكمائهم[5]، و كان فطنا شديدا كريما، و كانت أمه فارسية فقد ساد النفوذ الفارسي في عهده، و لما كان عالما محبا للعلم و الثقافة فأصبح عهده عهد نهضة فكرية[6].

و جاء المعتصم (218 هـ - 227 هـ) بعد وفاة أخيه المأمون و كان سديد الرأي شديد المنة و كان موصوفا بالشجاعة[7]. و قد قامت في وجهه حركة معارضة مما جعله يعتمد على عنصر جديد من الرقيق و هم الأتراك، حيث رفض الجند مبايعته حين أرادوا

---

[1]/ الأزدي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن منصور ظافر بن حسين ، أخبار الدول المنقطعة ، تح : عصام مصطفى هزايمية و آخرون، دار الكندي، أربد ، 1999،ج2 ، ص 319 .

[2]/ نادية حسني صقر ، المرجع السابق ، ص 29 ، 30 .

[3]/ ابن الطقطقي ، المصدر السابق ، ص 212 .

[4]/ نادية حسني صقر ، المرجع السابق ، ص 30 ، 31 .

[5]/ ابن الطقطقي ، المصدر السابق ، ص 212 .

[6]/ نادية حسني صقر ، المرجع السابق ، ص 31 .

[7]/ ابن الطقطقي ، المصدر السابق ، ص 229 .

تولية العباس بن المأمون فبايع العباس عمه المعتصم و أخمدت المعارضة و أقبل الجند يبايعونه[1]. و كان حكمه استبداديا مقررنا بشيء من العطف و من التدبير و تمثلت فيه روح الجندية، و ظهرت مقدرته الحربية في القضاء على أعدائه السياسيين و تحقيق انتصارات على البيزنطيين[2].

و قد سلم خلفاء العصر العباسي أمورهم إلى الفرس و أفسحوا لهم المجال في تولي المناصب الكبرى ، بعد أن كانت هذه المناصب في العصر الأموي تقتصر على العرب[3].

و هكذا تولى الموالي الوزارة كما نتج عن إشراك الفرس في الحكم أن تأثروا بأنظمتهم و أخذوا منها، و تأثروا بنظرتهم الاستبدادية، حيث كون الخلفاء لأنفسهم معاونين أو شركاء في السلطة و بقي الخليفة هو المسيطر الحقيقي و الحاكم المطلق يشرف على الوزراء و ينكل بهم متى تطرفوا في سلطتهم[4].

و لما ظهر طموح الفرس في استرجاع مجدهم حرص العباسين على استرجاع سلطانهم كل ذلك جر إلى التنكيل بزعماء الفرس و وزرائهم[5] فنكبوهم نكبات متوالية على نحو ما هو معروف عن نكبة البرامكة، و نكبة بني سهل و تثبت من جراء ذلك عداء شديد بين الفرس و العرب[6].

1/ ابن كثير ، المصدر السابق ، ج 14 ، ص 232 .

2/ نادية حسني صقر ، المرجع السابق ، ص ص 31- 34 .

3/ عبد العزيز سالم ، دراسات في تاريخ العرب العصر العباسي الأول ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1993 ، ج3 ، ص 7 .

4/ عبد العزيز الدوري ، النظم الإسلامية ، ص 48 .

5/ الدوري ، دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، ص 11 .

6/ شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص 9 .

فلم ينجح العباسيون في تكوين جو من التفاهم و التعاون بين العرب و الفرس، فالعرب صعب عليهم تقريب الفرس، و الفرس صاروا يطمحون لإحياء مجدهم ، فأصبح كلا الفريقين يسعيان لإضعاف الطرف الآخر[1].

و ظهر التأثير الفارسي في الحركات الدينية التي شغلت معظم فترات العصر العباسي الأول ، حيث اتجهت اتجاها قوميا شعوبيا يستهدف ضرب السيادة العربية و العرب و إحياء المجد الفارسي القديم[2]، فظهر ذلك في حركة الشعوبية التي استهدفت تصغير شأن العرب[3]. كما ظهرت في حركة الزندقة لمحاربة الإسلام و التعصب اللعجمية أدبيا و سياسيا و اجتماعيا[4].

و من الحركات الدينية التي ظهرت في العصر العباسي الأول حركة الراوندية 141 هـ التي ظهرت في خلافته المنصور[5]، و حركة المقنعية التي تنتسب إلى زعيمها المقنع الخراساني الذي أعلن الثورة على المهدي في 159 هـ فاتخذ لنفسه قناعا من الذهب و ادعى الأولوهية و أباح المحرمات[6]، ثم حركة البابكية (201 هـ - 222 هـ) أتباع بابك الخرمي، و كانت استمرار لحركتي الراوندية و المقنعية، ثم حركة الزنادقة التي تشبه المانوية و تدعو إلى الديمقراطية الفاسدة التي تبيح المحرمات[7].

---

[1]/ الدوري ، دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، ص 12 .

[2]/ عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ،ج3 ، ص 8 .

[3]/ الدوري ، دراسات ... ، ص 12 .

[4]/ عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ،ج3، ص 8 .

[5]/ المرجع نفسه ، ص 8

[6]/ ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 259 ، 260 .

[7]/ عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ،ج3 ، ص 8 .

كما شهدت الخلافة العباسية خلال العصر الأول خلافات داخلية من أجل الاستحواذ على السلطة تطورت إلى اشتباكات دامية[1]، مثل خروج عبد الله بن علي 147 هـ على ابن أخيه أبي جعفر المنصور[2]، و لعل أخطر صراع شهده العصر العباسي الأول هو النزاع الذي نشب بين الأمين و المأمون (195 هـ - 198 هـ)[3] .

كما عرفت الخلافة العباسية اصطدامات على حدودها بينها و بين البيزنطيين[4] فاستمرت بينهم حرب الصوائف و الشواتي التي كان مسرحها الثغور لكنهم لم يقضوا عليها. أما على الجهة الشرقية فقد ثبت العباسيون نفوذهم على أقاليم بلاد ما وراء النهر و في إقليم السند[5].

كما قامت دولة الخلافة العباسية على تثبيت سلطتها في بلاد المغرب لكن الأندلس لم تلبث أن انفصلت عن الخلافة بقيادة عبد الرحمن الداخل الأموي سنة 138 هـ[6].

كما انفصل الأدارسة بالمغرب الأقصى سنة 171 هـ، مما دفع العباسيين الى محاولة ربط الأقاليم الأخرى في دولتهم التي تحاول الانفصال برباط رسمي، و ذلك بتولية الرشيد إبراهيم بن الأغلب على افريقية سنة 184 هـ .

و كان الجيش في الدولة العباسية يمثل الأساس الثالث الذي اعتمد عليه العباسيون في حكمهم و هو خليط من عناصر خراسانية و عربية، و بذلك ظهر بشكل ينسجم مع مدلول " الجيش الإسلامي " مقابل " جيش الشام" الذي سيطر على الدولة في

1/ محمد سهيل طقرش ، تاريخ الدولة العباسية ، ط7 ، دار النقائس ، لبنان ، 2009 ، ص 9 .

2/ المسعودي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 241 .

3/ محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص 9 .

4/ الدوري ، دراسات ... ، ص 12 .

5/ محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص 9

6/ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج5، ص 119 .

أواخر العصر الأموي و في عصر المأمون أنشأ الخليفة فرقة جديدة من الجيش اعتمد عليها فخيب أمل الخراسانيين[1].

و كان أفراد الجيش عونا للخلافة، و أداة للخلفاء، و قد ختم هذا الدور بانتهاء عهد الخلفاء الذين كانوا يقودون الجيوش بأنفسهم و يواجهون الموت و لا يستسلمون للملذات و الترف[2].

و تميز العصر العباسي الأول بعصر النفوذ الفارسي أو بعصر الخلفاء العباسيين العظماء، حيث ابتدأ هذا العصر بخلافة أبي العباس السفاح و انتهى بخلافة الواثق 227 هـ- 232هـ[3].

وقد تمتع الفرس في العصر العباسي الأول بمكانة مرموقة في الدولة حيث سيطروا على الجهازين الإداري و العسكري في بغداد و الأقاليم الخاضعة لنفوذ الخلافة، فأحكموا قبضتهم على قيادة الجيوش و المناصب الإدارية الكبرى كالوزارة و الولاية على البلدان و الكتابة[4].

كما تميز هذا العصر بقوة الخلافة و استقلالها التام و تركيز السلطات العليا في الدولة بيد الخلفاء الذين تمتعوا بقدرات شخصية و إدارية فذة، استطاعوا من خلالها المحافظة على وحدة الدولة ، و إخماد الثورات و الفتن[5].

1/ الدوري ، دراسات ... ، ص 12 .

2/ محمد سهيل طقرش ، المرجع السابق ، ص 33.

3 / السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ،ج3 ، ص 6 .

4/ محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص 33 .

5/ المرجع نفسه ، ص 33 .

فما واجهه العباسيون في العصر العباسي الأول من مشكلات داخلية و خارجية لم يمنعهم من الارتقاء بدولتهم إلى مستوى عال من المقدرة السياسية و الحضارية[1]، فبنوا مدينة بغداد في عهد المنصور سنة 145هـ[2]، حيث كانت أكبر الحواضر الإسلامية، و مركزا تجاريا مزدهرا[3]. و بنى المعتصم سامراء سنة 221 هـ و جعلها قاعدة للدولة[4].

و شهدت التجارة نشاطا ملحوظا ، اعتمدت على ما تنتجه من أقاليم الدولة، أو ما تستورده من غيرها و تعيد تصديره ، كما ازدهرت الحياة الثقافية و نشط تقريب المعارف الإنسانية[5] .

---

[1]/ محمد سهيل طقرش ، المرجع السابق ، ص 10 .

[2]/ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 165 .

[3]/ محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص 10 .

[4]/ الطبري ، لأبي جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الطبري " تاريخ تاريخ إلى سل و الملوك" ، ط4 ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، 1967، ج 9 ، ص 17 .

[5]/ محمد سهيل طقرش ، المرجع السابق ، ص 10 .

الفصل الأول:

الأحداث السياسية

و الثورات

في العصر العباسي الثاني

المبحث الأول : الوقائع السياسية

أولا: عصر سيطرة الأتراك:

و في العصر العباسي الثاني ظهر في العالم الإسلامي عنصر جديد بجانب العنصرين العظيمين – العرب و الفرس– و هو عنصر الأتراك، فكان له أثر كبير في الحياة السياسية و الاجتماعية في الدولة العباسية[1].

و كان المأمون (198 هـ – 218 هـ) أول من اتخذ من الخلفاء الأتراك للخدمة فكان يشتري الغلام من الأتراك بمائة ألف و مائتي ألف و بدأ ظهور الأتراك منذ عهد المعتصم (218 هـ – 227 هـ) لأنه وجد نفسه لا يستطيع أن يثق في العرب و الفرس فوجد في العنصر التركي غايته و قربهم إليهم و خصمهم بالنفوذ[2]، فقلدهم قيادة الجيش، و جعل لهم مركزا في مجال السياسة و حرم العرب مما كان لهم من قيادة الجيوش . و أسقط أسماءهم من الدواوين[3] و قطع أعطايتهم[4].

و قد بلغ الأتراك غايتهم منذ عهد الخليفة المعتصم، و تمكنوا من السيطرة على الشؤون الخلافة الهامة. و ازداد نفوذهم تدريجيا، فأصبحوا مصدر قلق و اضطراب[5].

1/ حسن أحمد محمود ، أحمد إبراهيم الشريف ، العالم الإسلامي في العصر العباسي ، ط5 ، دار الفكر العربي ، ص 317

2/ أمينة بيطار ، تاريخ العصر العباسي ، ط4 ، جامعة دمشق ، 1997 ، ص 223 .

3/ السيوطي ، المصدر السابق ، ص 45 .

4/ المسعودي ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 45 .

5/ محمود ، الشريف ، المرجع السابق ، ص 227 .

و تعتبر خلافة الواثق بن المعتصم 227 – 232 ه فترة انتقال بين عهدين الأول هو عهد تمكن الأتراك مع بقاء هيبة الخلافة، و الثاني يبتدئ بالخليفة المتوكل و هو عهد تمكن الأتراك مع زوال هيبة الخلافة و هبوط مكانة الخلفاء[1].

و يمتاز عهد الواثق بأن وصل الأتراك إلى تثبيت أقدامهم في الحكم و توطيد نفوذهم، و نال رؤساءهم مكانة عظيمة[2] و بلغ من نفوذهم أن استخلف الواثق أشناس على السلطة فكان بذلك أول خليفة استخلف سلطانا و أسند إليه أعمال الجزيرة و بلاد الشام و مصر[3]، كما عهد إلى ايتاخ بولاية خراسان و السند و كور و دجلة[4].

و كان الواثق فاتح باب الفرضى في نظام الخلافة لأنه رفض أن يعهد إلى أحد بالخلافة[5]، حيث سئل أن يوصي لابنه بالخلافة لم يقبل فقال : " لا يراني الله أتقلدها حيا و ميتا"[6].

فكانت أول بادرة لتدخل هؤلاء الأتراك في شؤون السياسة عند وفاة الخليفة الواثق[7] حيث اختاروا جعفر بن المعتصم بلقب المتوكل 232 – 248 ه[8] و يبدوا أن المتوكل تنبه و أدرك حقيقة الأتراك و موقفهم الضاغط على الخلافة و أزدياد نفوذهم ، كما شعر باستبدادهم

1/ محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص 161 .

2/ محمود ، الشريف ، المرجع السابق ، ص 329 .

3/ السيوطي ، المصدر السابق ، ص 270

4/ اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب، تاريخ اليعقوبي ، مطبعة العزى ، النجف ، ج3 ، ص 205 .

5/ عبد العزيز الدوري ، النظم الإسلامية ، ص 50 .

6/ اليعقوبي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 208 .

7/ خالد عزام ، العصر العباسي ، دار أسامة ، الأردن ، 2009 ، ص 161 .

8/ المسعودي ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 70 .

بشؤونها و قلة احترامهم لشخصه[1]، مما دفعه إلى التخلص سريعا منهم و تحجيم قوتهم و بدأ بايتاخ، فانتهز أول فرصة و تخلص من القائد ايتاخ عند رجوعه من الحج و صودرت أمواله و ضياعه و توفي عام 235 هـ[2].

و في سنة 243 هـ أراد المتوكل أن يترك سامراء و يتخذ دمشق حاضرة له[3] حتى يصبح بمنأى عن الترك و شرورهم[4]، فدخل المتوكل دمشق في صفر سنة 244 هـ عازما على المقام بها ، و نقل دواوين الخلافة إليها ، و أمر أن يبنى له بها بعض القصور غير أن الترك فطنوا لمأربه[5].

و لما فعل ثار عليه الأتراك كما لم يسلم من شغب جند الشام عليه مطالبين بأعطيتهم[6]، فاضطروا إلى العودة إلى سامراء لأن الظروف الداخلية و المناخية لم تساعده بعد أن قضى فيها شهرين[7].

غير أن المتوكل عاودته فكرة الانتقال نحو شمالي سامراء، إذ فكر في انتقاله إلى الماحوزة على بعد ثلاثة فراسخ منها و أقطع القواد و حواشيه فيها. و سماها الجعفرية، و بنا لنفسه فيها قصره " الجعفري" و قصرا سماه " لؤلؤة " قصورا أخرى، و نقل إليها الكتاب و

1/ شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص 12 .

2/ الطبري ، المصدر السابق ، ج9 ، ص 166 ، 167 .

3/ المصدر نفسه ، ج9 ، ص 209 .

4/ شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص 12 .

5/ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 129 .

6/ الطبري ، المصدر السابق ، ج9 ، ص 210 .

7/ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 129 .

الدواوين و الناس و ذلك في محرم سنة 246 هـ [1].

و في أثناء ذلك فكر المتوكل في كيفية استئصال شوكة الأتراك و استبدالهم[2]،فكان أول من صنع أن ضم إلى وزيره عبيد الله بن يحي بن خاقان اثني عشر ألفا من العرب[3]، و كأنه يريد أن يعيد العرب إلى الجيش و قيادته[4] .

و قد كانت شائعات بأنه المتوكل يريد الفتك بحاجبيه و صيف و بغا الكبير و غيرهم من القواد، فصمموا على مبادرته، كما أن الأمور قد ساءت بينه و بين ابنه المنتصر ولي العهد ، فوضع يده مع الأتراك لقتله[5].

و أعدوا لذلك نفرا من أصاغر الترك منهم بغا الشرابي و باغرو موسى بن بغا الكبير فدخلوا على المتوكل هو و وزيره الفتح بن خاقان[6] في ليلة من ليالي شوال سنة 247هـ و قتلوهما[7].

و قد أصبح الأتراك بعد ذلك كل شيء في الدولة و لم يعد للخلفاء شيء فقد استولى الأتراك منذ قتل المتوكل على المملكة و استضعفوا الخلفاء فكان الخليفة في

1/ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، تح : عبد الأمير مهنا ، شركة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، 2010 ، ج2 ، ص 456 .

2/ شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص 13 .

3/ المسعودي ، أبي الحسن على بن الحسين ، التنبيه و الإشراف ، مر : عبد الله إسماعيل الصادق ، مكتبة الشرق الإسلامية 1998 ، ص 313 .

4/ شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص 13 .

5/ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 137 .

6/ الفتح بن خاقان : أبو محمد التركي ، شاعر مترسل بليغ استوزره المتوكل و فوض إليه إمرة الشام فبعث إليها نوابا عنه. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، ط11، تح: شعيب الأرنؤوط، صالح السم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1996 ، ج12، ص 82 .

7/ الطبري ، المصدر السابق ، ج9 ، ص 225 . السيوطي ، المصدر السابق ، ص 278 .

يديهم كالأسير، إن شاءوا أبقوه ، و إن شاءوا خلعوه ، و إن شاءوا قتلوه[1].

1- فترة الفوضى العسكرية 247 هـ - 256 هـ :

يعتبر مقتل الخليفة المتوكل 247 هـ على يد الجند الأتراك سامراء[2] بداية لنهاية سلطة الخليفة و نهاية الخلافة العباسية ، حيث أصبح الخليفة من صنيع القادة العسكريين الأتراك الذين يعينوهم و يعزلونهم بقوة سيوفهم[3] .

فكان قتل المتوكل أول حادثة اعتداء على الخلفاء العباسيين[4]، فلم يقتل منهم من قبل إلا الأمين بعد هزيمته في الحرب 198 هـ، و أدت إلى تثبيت سلطانهم، كما كانت إنذار موجها لكل عباسي يعتلي الخلافة، إما أن يكون تحت الإذعان التام لأهوائهم، أو القتل فحدثت في سامراء في عام 248 هـ حركة شعبية عبرت عن استنكار العامة لعبثهم بالخلافة[5].

و قد بايع الأتراك المنتصر 247 - 248 هـ و نصبوه خليفة، فكان خاضعا لنفوذهم فكان تنصيبه ظاهريا فقط اقتصر على الخطبة و السكة[6] و قد خاف الأتراك من أن يلي المعتز و المؤيد ابني المتوكل الخلافة بعد المنتصر لينتقما لمقتل أبيه لذلك أمروا المنتصر أن يخلعهما[7].

---

[1]/ شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص 13 .

[2]/ خالد عزام ، المرجع السابق ، ص 165 .

[3]/ فوزي أمين يحي، فتحي سالم حميدة ، تاريخ الدولة العباسية ، دار الفكر ، عمان ، 2010 ، ج2 ، ص 14 .

[4]/ أمينة بيطار ، المرجع السابق ، ص 228 .

[5]/ محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص 164 .

[6]/ المرجع نفسه ، ص 164 .

[7]/ ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 353 .

من ولاية العهد، فلم يتجرأ الخليفة على الاعتراض و أجبر أخويه على خلع نفسيهما[1]، و هكذا أدرك المنتصر خطورة التسلط التركي فكرههم و أخذ يفكر في وضع حد لطغيانهم و تدخلهم في شؤون الدولة و بقتل رؤسائهم[2] و كان شغله الشاغل و لسان حاله يقول :

" هؤلاء قتلة الخلفاء" قتلني الله إن لم أقتلهم و أفرق جمعهم "[3].

و تنبه الأتراك لهذا الخطر لذلك تخلصوا من الخليفة بواسطة الطبيب الطيفوري الذي سمه بمشرط حجمه به في ربيع الثاني سنة 248 هـ[4].

على اثر مقتل المنتصر برز قادة الأتراك، أمثال بغا الكبير و بغا الصغير و أتامش و وصيف، وقد اجتمع هؤلاء و بايعوا الأحمد بن محمد المعتصم خليفة بلقب المستعين بالله 248 هـ – 252 هـ. و كان غايتهم الاستئثار بالسلطة دونه[5].

و بدأ عهد المستعين بحدوث اضطرابات و تطاحن على السلطة، فنشبت نزاع بينه و بين العامة و الأتراك و انتهى بانتصار الأتراك في إبقاء المستعين في الخلافة[6].

كما عين أتامش وزيرا له و بذلك يكون لأول مرة ينصب قائدا عسكريا وزيرا بعد

1/ الطبري ، المصدر السابق ، ج9 ، ص 245 ، 246 .

2/ خالد عزام ، المرجع السابق ، ص 166 .

3/ السيوطي ، المصدر السابق ، ص 283 .

4/ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 148 .

5/ محمد الخضري بك ، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية " الدولة العباسية" ، تح: محمد العثماني، دار القلم، بيروت ، 1986 ، ص 305

6/ اليعقوبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 459 .

أن كان مدنيا و استطاع الأتراك السيطرة على زمام الحكم فكان الخليفة مسلوب السلطة[1].

لم تدم هذه الوحدة بين الأتراك طويلا حيث سرعان ما دب خلاف بين زعمائهم و انقسموا إلى حزبين متنافرين أحدهما يؤيد باغر التركي و الأخر يؤيد وصيف و بغا[2]، فاستغل المستعين هذه الخلافات و راح يتخلص من زعمائهم، فنفى أحمد بن الخصيب إلى جزيرة كريت[3]، سنة 248 ه و قتل أتامش سنة 249 ه و باغر سنة 251 ه [4].

فهرب المستعين إلى بغداد للاحتماء بأهلها، فالتمسوا إليه الرجوع فأبى فأعلن الأتراك خلعه و بايعوا المعتز بالخلافة، و أصبح المستعين خليفة في بغداد و المعتز خليفة في سامرا يعاضده الأتراك[5].

و نشبت الحرب بين الطرفين و حاصر الأتراك بغداد و ضيقوا عليها نحو سنة حتى اضطر الخليفة المستعين بالتنازل عن الخلافة على أن يضمنوا له العيش باطمئنان في المدينة المنورة[6].

غير أن أحد رجال الخليفة المعتز اغتاله سنة سنة 252 ه في واسط و هو في طريقه إلى الحجاز[7]،و قد مثل أحد الشعراء ضعف المستعين بقوله :

---

[1]/ عبد الجبار ناجي و آخرون، الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي ، مركز الإسكندرية للكتاب ، 2006 ، ص 181 .

[2]/ حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، 1996 ، ج3 ، ص 14 .

[3]/ الطبري ، المصدر السابق ، ج9 ، ص 259 .

[4]/ المصدر نفسه ، ج9 ، ص 263 و 278 .

[5]/ حسن إبراهيم حسن ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 14 .

[6]/ رفيق المهايني ، تاريخ الخلافة الأموية و العباسية ، دار اليقظة العربية ، دمشق ، 1946 ، ص 185 .

[7]/ الطبري ، المصدر السابق ، ج9 ، ص ص 362 ، 364 .

خليفة في قفص بين وصيف و بغا

يقول ما قالا له كما تقول الببغا[1].

بويع للمعتز بالخلافة سنة 252 هـ - 255 هـ[2] حيث قال ابن الطقطقى بويع بالخلافة عقب خلع المستعين ... و لم يكن بسيرته و رأيه و عقله بأس ..."[3] و استفحل أمر الأتراك استفحالا عظيما و ازداد نفوذهم و كثرت اضطراباتهم و مطالبتهم للمال، و عجز الخليفة عن تلبيتها مما أدى إلى خلعه و تقديم أخيه المؤيد، لكن الخليفة أجبر أخاه على خلع نفسه ثم قتله، و تخلص من بعض زعماء الأتراك مثل وصيف و بغا.

و عندما أدرك الأتراك بخطورة الأمر تحركوا للمحافظة على مصالحهم فأرغموا الخليفة على خلع نفسه و اسندوا الخلافة إلى محمد بن الواثق و لقب بالمهتدي"[4]

"و سلموا المعتز إلى من يعذبه فمنعه الطعام و الشراب ثلاثة أيام فطلب حسوة (جرعة) من ماء البئر فمنعوه ، ثم أدخلوه سردابا و حصحصوا عليه (أي جعلوه في بيت وسدوا عليه)، فمات سنة 255 هـ"[5].

تولى المهتدي الخلافة بعدد وفاة أخيه 255 هـ - 256 هـ و كان من أحسن الخلفاء سيرة، و أظهرهم ورعا، و أكثرهم عبادة[6]، و كان يتشبه بعمر بن عبد العزيز و يقول:

1/ السيوطي ، المصدر السابق ، ص 285 .

2/ محمد الخضري بك ، المرجع السابق ، ص 315 .

3/ المصدر السابق ، ص 243 .

4/ الطبري ، المصدر السابق ، ج9 ، ص ص 389 – 391 .

5/ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 200 .

6/ حسن إبراهيم حسن ، علي إبراهيم حسن ، النظم الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، مصر ، 1939 ، ص 68 .

" إني استحق أن يكون في بني أمية مثله و لا يكون مثله في بني العباس"[1]و كان يجلس في المظالم فيحكم بين الناس بالعدل فبنا قبة لها أربعة أبواب سماها قبة المظالم، و أمر بالمعروف و نهى عن المنكر و حرم الشراب، و نهى عن القيان و أظهر العدل، و كان يحضر كل جمعة إلى المسجد الجامع و يخطب و يؤم بهم فثقلت وطأته على العامة و الخاصة بحملهم إياهم على الطريق الواضحة، فاستطالوا خلافته و سئموا أيامه و عملوا الحيلة حتى قتلوه"[2].

و كان قد مضى مثل ابن عمه المعتز يفتك برؤساء الأتراك و قادتهم و في مقدمتهم صالح بن وصيف و بايكباك أحد زعمائهم، فقتلوه في رجب سنة 256 ﻫ بعد أن شغبوا عليه الأتراك و هاجووا عليه و أخذوه أسيرا و عذبوه فخلعوه و مات[3].

2- فترة الاستقرار السياسي المؤقت من سنة 256 ﻫ - 295 ﻫ :

بويع المعتمد بن المتوكل بالخلافة 256 ﻫ - 279 ﻫ و في عهده غلب أخوه الموفق[4]حيث يقول ابن الطقطقى: " كان المعتمد مستضعفا و كان أخوه الموفق طلحة الناصر هو الغالب على أموره، و كانت دولة المعتمد دولة عجيبة الوضع، كان هو و أخوه الموفق طلحة كالشريكين في الخلافة للمعتمد الخطبة و السكة و التمس بإمرة المؤمنين، و لأخيه طلحة الأمر و النهي و قيادة العساكر و محاربة الأعداء و مرابطة الثغور و ترتيب الوزراء و الأمراء و كان المعتمد مشغولا عن ذلك بلذاته"[5].

---

[1]/ ابن الطقطقى ، المصدر السابق ، ص 246 .

[2]/ المسعودي ، مروج الذهب ، ج4 ، ص 148 .

[3]/ اليعقوبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 473 .

[4]/ محمود شاكر ، المرجع السابق ج2 ، ص 65 .

[5]/ المصدر السابق ، ص 250 .

و كان الخليفة المعتمد على حد قول السيوطي: " هو أول خليفة قهر و حجر عليه و وكل به"[1].و استطاع الموفق أن يخمد الكثير من الثورات و الفتن التي قامت في زمن المعتضد خاصة ثورة الزنج و القضاء عليها و بذلك رد إلى الخلافة العباسية هيبتها، و كسر شوكة الأتراك[2].

توفي الموفق سنة 278 ﻫ و اجتمع القواد و بايعوا ابنه العباس بولاية العهد بعد المفوض ابن المعتمد و لقبوه المعتضد بالله 279 ﻫ – 289 ﻫ [3].

و كان شهما جلدا، هابه الناس و رهبوه و سكنت الفتن في أيامه، و عم الرخاء و الأمن و رفع الظلم عن الرعية[4]، و كان يسمى السفاح الثاني لأنه جدد ملك بن العباس[5] و انتعشت الخلافة في عهده و استمر تراجع نفوذ الأتراك .

و توفي الخليفة المعتضد سنة 289 ﻫ تولى المكتفي 289 ﻫ – 295 ﻫ[6]،و في زمنه تأخرت حالة البلاد بعد أن ابتدأت تنتعش في زمن الموفق و ابنه المعتضد و يعود سبب هذا التأخر إلى ظهور المنافسات بين ذوي النفوذ و من وزراء و قواد الدولة و اشتداد أمر القرامطة[7]، إلا أنه حاول التقرب من قلوب الرعية بهدم السجون التي شيدت في عهد

1/ المصدر السابق ، ص 290 .

2/ شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص 15 .

3/ حسن إبراهيم حسن ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 22 ، 23 .

4/ السيوطي ، المصدر السابق ، ص 293 .

5/ ابن الكازروني ، المصدر السابق ، ص 165 .

6/ حسن إبراهيم حسن ، علي إبراهيم حسن ، المرجع السابق ، ص 70 .

7/ رفيق المهايني ، المرجع السابق ، ص 190 .

أبيه و بناء مساجد مكانها ورد الأراضي و البساتين بعد أن اغتصبها سلفه فاكتسب محبة الناس[1].

و في عهده سقطت الدولة الطولونية 292 ﮬ و أصبحت مصر تابعة للخلافة العباسية، و انتهى حكم الأغالبة في افريقية على يد أبي عبد الله الشيعي داعية الفاطميين، و في عهده كانت العلاقة حسنة مع البيزنطيين في بادئ الأمر و تبادلت الهدايا بين الطرفين[2]، و حصل فدائيين في زمنه[3] ثم توترت العلاقات و استولى المسلمون على إنطاكية و غنموا من البزنطيين مغانم كثيرة[4].

توفي المكتفي بالله سنة 295 ﮬ و عهد من بعده لأخيه المقتدر[5] و يعتبر المكتفي بالله آخر خلفاء الاستقرار المؤقت الذي كان بوفاته عودة لتغلب الأتراك على السلطة[6].

لقد شهد عصر الاستقرار المؤقت قوة الخلفاء و هيبتهم و استرجاع السلطة الدولة العباسية فكان ذلك في عهد المعتمد و المعتضد و المكتفي (256 ﮬ – 295 ﮬ) التي تعتبر ثورة الخلفاء على المسلطين فلم تكن للأتراك أمال أو جهود لزعزعة استقرار و كيان الدولة العباسية[7].

---

[1]/ السيوطي ، المصدر السابق ، ص 298 ، 299 .

[2]/ محمد الخضري بك ، المرجع السابق ، ص 373 .

[3]/ الطبري ، المصدر السابق ، ج10 ، ص 120 .

[4]/ الأزدي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 380 .

[5]/ ابن الجوزي ، ابي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ، تح: محمد عبد القادر عطا، مر: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992 ، ج13 ، ص 59 .

[6]/ محمود ، الشريف ، المرجع السابق ، ص 359 .

[7]/ مساعد بن مساعد محمد الصوفي ، العوامل السياسية و أثرها في ضعف الخلافة العباسية، مذكرة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي ، إشراف : ضيف الله بن يحي الزهراني ، قسم الدراسات العليا التاريخية و الحضارية ، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، 2008 ، ص 39 .

3- فترة الفوضى السياسية مرة أخرى 295 هـ - 334 هـ :

تولى الخلافة المقتدر 295 هـ – 320 هـ و عمره ثلاث عشرة سنة فلم يرقى بذلك للناس لصغر سنه[1]، لما أعلن خبر البيعة للناس ثاروا و على رأسهم القواد و الكتاب و طلبوا خلع المقتدر، و تولية عبد الله بن المعتز[2]، فخلعوه و بايعوا ابن المعتز، و تخلف عن البيعة ابن الفرات[3]و خواص المقتدر و بعض القواد مثل مؤنس الخادم[4]،و أراد المقتدر أن يترك بغداد فمنعه أصدقاؤه و أشاروا عليه بالقتال[5].

و في مساء تلك الليلة صعدوا إلى الدار التي فيها ابن المعتز و هجموا عليه فتفرق عنه أصحابه، فخرج ابن المعتز من بغداد و معه وزيره محمد بن داود بن الجراح، و رجع المقتدر للعرش، و ما لبث أن قبض على ابن المعتز هو و أعوانه و قتلهم[6].

و اضطربت الأمور في دار الخلافة و كثر النهب و القتل و اختل الأمن، و دخل اللصوص الدور و اعتدوا على الأموال و الأعراض و تدخل النساء في الحكم[7].

و عاد الأتراك إلى نفوذهم و زاد الأمر سوءا أن أم المقتدر شغب و هي أم ولد

---

[1]/ ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج 13 ، ص 60 .

[2]/ عبد الله بن المعتز : كان أديبا، بليغا شاعرا، مجودا ومقتدرا على الشعر، سهل اللفظ، جيد القريحة حسن الاختراع للمعاني. المسعودي، مروج الذهب ... ، ج4 ، ص 233 .

[3]/ ابن الفرات : أبو الحسن علي بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات وزير المقتدر بالله وزر له ثلاث دفعات الأولى سنة 296، و الثانية سنة 304 و الثالثة 311. توفي سنة 312 بعد قتله من طرف نازوك صاحب الشرطة، ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ج3، ص ص 421 ، 423 .

[4]/ مؤنس الخادم : الخادم الأكبر الملقب بالمظفر المعتضدي، أحد الخدام الذين بلغوا رتبة الملوك، و ولي دمشق للمقتدر، رحاب المقتدر، توفي سنة 321. الذهبي ، المصدر السابق ، ج15 ، ص 56 .

[5]/ حسن خليفة ، الدولة العباسية قيامها و سقوطها ، المكتبة الحديثة، القاهرة، ص 189 .

[6]/ محمد الخضري بك ، المرجع السابق ، ص 377 ، 378 .

[7]/ حسن خليفة ، المرجع السابق ، ص 190 .

رومية شاركت مؤنسا في تصريف شؤون الحكم و السياسة[1].

و اقدر وصف على تصوير وضع المقتدر ما ذكره المسعودي، حيث قال: " أفضت الخلافة إليه و هو صغير غر ترف، لم يعان الأمور، و لا وقف على أحوال الملك، فكان الأمراء و الوزراء و الكتاب يديرون الأمور، و ليس له في ذلك حل و لا عقد، و لا يوصف بتدبير و لا سياسة، و غلب على الأمر النساء و الخدم و غيرهم، و ذهب ما كان في خزائن الخلافة من الأموال و العدد بسوء التدبير الواقع في المملكة. فأدى بذلك الى سفك دمه، و اضطربت الأمور بعده، و زال كثير عن رسوم الخلافة"[2].

و في هذا المجال لا بد من الإشارة كيف كان أصحاب النفوذ في الدولة يرون الحجر على من يرشح للخلافة، لينشأ جاهلا غرا، فينصرف إلى لهوه و لذته، و يترك لهم أمور الخلافة[3]، سنذكر مثالا على ما ذكره الصولي أنه لما عهد إليه بتربية الراضي بالله و أخيه هارون فكان يلقاهما مرتين في الأسبوع، و قد رآهما فطنين عاقلين، إلا أنهما خاليان من العلوم فحبب الصولي العلم إليهما و اشترى لهم من كتب الفقه و الشعر و اللغة و الأخبار الكثير، حتى تنافسا في العلم، و عمل كل واحد منهما خزانة لكتبه و قرأ الأشعار و الأخبار على الصولي[4].

و تقدم الأخير في تعليمها، فقيل له على لسان أهل القصر : " ما نريد أن يكون أولادنا أدباء و لا علماء و هذا أبوهما قد رأينا كل ما نحب فيه و ليس بعالم "[5].

---

[1]/ شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص 16 .

[2]/ التنبيه و الإشراف ، ص 328 .

[3]/ أمينة بيطار، المرجع السابق، ص 235 .

[4]/ الصولي أبي بكر محمد بن يحي، أخبار الراضي بالله و المتقي لله من كتاب الأوراق، ط2، تح: ج، هيورث، د ن ، دار الميسرة، بيروت، 1979 ، ص 26، 27.

5/ المصدر نفسه ، ص 235.

و هذا ما يدل على أن شخصيات معينة في القصر يحاولون إبقاء الخليفة في وضع الضعيف المنفذ لطلباتهم[1].

حيث اشتهر الخليفة المقتدر بعزل وزرائه و القبض عليهم و الرجوع الى قول النساء و الخدم و التصرف على مقتضى آرائهن[2]. حيث أصبح الأمر و النهي بيد أمه إذ بلغ من نفوذها أنها إذا غضبت هي أو قهرماناتها من أحد الوزراء كان مصيره العزل بل و استطاعت تعيين قهرمانتها (ثومال) صاحبة المظالم فتسمع شكاوي في أيام الجمع[3].

و وقعت الوحشة بين المقتدر و مؤنس مع سخط الجند بسبب رواتبهم و يتفاقم الأمر بينهم سنة 317 و يعزل الخليفة و يولي أخوه محمد و يلقب القاهر[4]، و طلب الجند أرزاقهم وقت الاحتفالات بتقليد القاهر ثم ردوا المقتدر إلى دار الخلافة و عزلوا القاهر[5].

و لم يمض على عودته للخلافة حتى خرج عليه مؤنس مرة ثانية سنة 320 ه و حاربه بجنده الذين كانوا يتكونون من البربر. و انتهى الأمر بقتله على يد أحدهم و ذبحهم إياه و سلب ملابسه، و تركت جثته مكشوفة العورة بضعة أيام ثم دفن في الموضع الذي مات فيه[6].

1/ أمينة بيطار ، المرجع السابق ، ص 235 .

2/ حسن إبراهيم حسن، علي إبراهيم حسن، المرجع السابق ، ص 71 .

3/ المسعودي ، التنبيه و الإشراف ، ص 328 ، 329 .

4/ ابن كثير، المصدر السابق ، ج16 ، ص 35 .

5/ ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج 13 ، ص 63 .

6/ السيوطي ، المصدر السابق ، ص 303 .

تولى بعد المقتدر أخوه أبو منصور محمد و لقب " القاهر بالله" 320هـ – 322هـ[1]، و كان شجاعا غير أنه كان أحمق أهوج شديد الإقدام على سفك الدماء[2] و كان لا يكاد يصحو من السكر و مع ذلك حرم الناس الخمر و السماع[3].

و في عهده انتشرت الفتن و شغبت عليه الجند، و عول كبار رجال دولته و قائده مؤنس و وزيره ابن مقلة[4] على خلعه، فهجموا عليه و سملوه[5]فسالت عيناه على خده ثم حبس[6]، و أصبح يفرج عنه حينا و يحبس حينا آخر، و ذكر ابن الطقطقى أن القاهر: " خرج يوما و وقف بجامع المنصور يطلب الصدقة من الناس، و قصد بذلك التشنيع على المستكفى فرآه بعض الهاشميين فمنعه من ذلك و أعطاه خمسمائة درهم"[7].

و لما علم المستكفي بذلك منعه من الخروج فظل محبوسا إلى أن مات في جمادى الأولى سنة 339 هـ و ذلك في عهد الخليفة الطائع [8].

4- فترة إمرة الأمراء 324 هـ 334 هـ:

أ/ خلافة الراضي :

بويع أبو العباس أحمد بن المقتدر بالخلافة بعد خلع القاهر في 5 جمادى الأولى

---

[1]/ ابن الأثير ، المصدر السابق، ج7، ص 75 .

[2]/ ابن الطقطقى ، المصدر السابق ، ص 276 .

[3]/ السيوطي ، المصدر السابق ، ص 306 .

[4]/ ابن مقلة: أبو علي محمد بن علي بن الحبيب بن مقلة الكاتب المشهور، استوزر المقتدر و وزير لراضي سنة 322 توفي سنة 328، ابن خلكان، المصدر السابق ، ج5، ص 113 و 117 .

[5]/ سمل: العين فقؤها بحديد محماة، حسن إبراهيم حسن، علي إبراهيم حسن ، المرجع السابق ، ص 75 .

[6]/ ابن الكازروني ، المصدر السابق ، ص 176 .

[7]/ المصدر السابق ، ص 276 .

[8]/ السيوطي ، المصدر السابق ، ص 309 .

سنة 322هـ و اعتلى العرش و تلقب بالراضي، و قد أخرجه القواد من السجن و بايعوه بالخلافة[1].

و وصف لنا صاحب الفخري ما امتاز به الخليفة الراضي قال: " ختم الخلفاء في أشياء منها: " أنه آخر خليفة دون له شعر، و آخر خليفة انفرد بتدبير الملك، و آخر خليفة خطب على منبر يوم الجمعة، و آخر خليفة جالس الندماء و وصل إليه العلماء"[2] قال الصولي: " سئل الراضي أن يخطب يوم جمعة فصعد المنبر سر من رأى، فحضرت أنا و إسحاق بن المعتمد فلما خطب شنف الأسماع و بالغ في الموعظة"[3].

و قد ازدادت الحالة اضطرابا في عهده و ضعفت الخلافة العباسية من البلدان القريبة و انتهز حكام الأقاليم و الولاة فرصة هذا الضعف و الاضطرابات فوسعوا نفوذهم و استقلوا بإماراتهم[4].

فقد ازدادت شوكة على بن بويه في فارس، و أصبحت الري و أصبهان و بلاد الجبل في يد أخيه الحسن بن بويه، كما استقل بنو حمدان بالموصل و ديار بكر و ديار ربيعة و مضر، أما مصر و الشام فقد استقل بإدارتهما محمد بن طفج الاخشيد، و استقل بخراسان نصر بن أحمد الساماني. و لم تكن المغرب أحسن حال من المشرق[5].

1/ مسكويه، أبي علي أحمد بن محمد بن يعقوب، تجارب الأمم و تعاقب الهمم، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، لبنان ، 2003 ، ج5، ص 167 .

2/ ابن الطقطقي ، المصدر السابق ، ص 280 .

3/ المصدر السابق ، ص 233 .

4/ حسن خليفة، المرجع السابق ، ص 197 .

5/ ابن الطقطقى ، المصدر السابق ، ص 280 .

فقد أعلن عبد الرحمن الثالث الأموي (300–350هـ) بالأندلس خليفة و تلقب بلقب أمير المؤمنين الناصر لدين الله، و نشطت الدولة العبيدية في بلاد المغرب و زحفت نحو مصر تحاول الاستيلاء عليها و هدد الروم الثغور الإسلامية و غزو البلاد[1].

و أصبح العالم الإسلامي في ذلك الوقت ثلاث خلافات، الخلافة العباسية في بغداد و الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب، و الخلافة الأموية في الأندلس[2].

كما اختلت أمور الدولة في عهده حيث استوزر في الوزارة رجال لم يقوموا بأي عمل في سبيل إصلاح شؤون البلاد و إقالتها من عثرتها[3].

ب/ ظهور منصب إمرة الأمراء:

و يعتبر ظهور منصب إمرة الأمراء من مستجدات الأمور السياسية في البلد حيث نرى أن هذا المنصب يجمع بين رئاسة الجيش و الخزينة المالية و الدواوين و هكذا أصبح هذا المنصب فوق الوزارة بل أبطلها[4].

ازداد نفوذ قادة الأتراك في عهد الراضي (322–329هـ) حيث و بدأ الصراع الثلاثي بينهم و بين الخليفة الوزير و بدء عجز الوزراء عن إدارة الدولة نتيجة لهذا التسلط و أمام الاضطرابات في العلاقات بين كبار رجال الدولة، و لاستثراء الأزمة المالية في عهد الخليفة الراضي[5].

1/ حسن خليفة ، المرجع السابق ، ص 197 .

2/ حسن إبراهيم حسن ، علي إبراهيم حسن ، المرجع السابق ، ص 76 .

3/ حسن خليفة ، المرجع السابق ، ص 197 .

4/ فوزي أمين يحي ، فتحي سالم حميدة ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 20 .

5/ أمينة بيطار ، المرجع السابق ، ص 236 .

أدت هذه الأحداث إلى ظهور منصب أمير الأمراء الذي سيطر متقلده على مقاليد الحكم و امتدت صلاحياته الى الضرائب و الإدارة فهيمن على الخلافة حتى أضحى الخليفة مجرد رمز، و لم يعد له من صلاحيات فعلية في ممارسة الحكم، و أزال نفوذ الوزراء، و توقف الصراع بين الخلافة و الأتراك الذي شغل جانبا كبيرا من العصر العباسي الثاني[1].

و ابتدأ هذا المنصب بالظهور في عام 324هـ على حساب منصب الوزارة و ذلك نتيجة الأوضاع المتردية للخلافة بضعف الوزراء و بعجز الأتراك، و فراغ الخزينة فأخذت تتطلع من الحكام الإمارات القريبة من العراق لتستعين بهم على إنقاذ الموقف الذي بلغ خطورة كبيرة[2].

استدعى الخليفة الراضي محمد بن رائق[3] أمير واسط و البصرة و سلمه مقاليد الأمور، و أطلق يده في سلطات الدولة كلها و لقبه أمير الأمراء. و هذا المنصب هو عبارة عن نقل كل سلطات الخليفة إلى قائد تتوفر فيه صفات الرئاسة المدنية و القيادة العسكرية[4].

و أصبح هذا المنصب من المناصب التي يتنافس عليها الأتراك، و طغى صاحبه على الخليفة و قال ابن طباطبا متحدثا عن وضع الخليفة و الوزير مع أمير الأمراء ابن رائق: " استبد ابن رائق أمير الأمراء بالأمور، و ولى النظار و العمال و رفعت المطالعات إليه، و رد الحكم في جميع الأمور إلى نظره، و لم يبق للوزير سوى الاسم من غير حكم

1/ محمد سهيل طقوش، المرجع السابق ، ص 169 .

2/ خالد عزام ، المرجع السابق ، ص 185 .

3/ محمد بن رائق: قدم دمشق في ذي الحجة سنة 327، و ذكر أن الإمام المقتفي بالله ولاه أمر دمشق، و أخرج منها بدر بن عبد الله الأخشيدي، ثم توجه الى مصر و تواقع هو و صاحبها محمد بن طفج الأخشيد فهزمه الأخشيد فرجع إلى دمشق، ثم توجه إلى بغداد و قتل بالموصل سنة 330 من طرف ناصر الدولة الحسن. ابن خلكان، المصدر السابق ، ج5، ص 118 .

4/ مسكويه ، المصدر السابق ، ج5، ص 198 .

و لا تدبير، و من تلك الأيام اضطهدت الخلافة العباسية، و خرجت الأمور منها ..."[1] .

و استولى الأعاجم و الأمراء و أرباب السيوف على الدولة، و جبوا الأموال، و كفوا يد الخليفة و قرروا له شيئا يسيرا. و لذلك عجز عن سد أرزاق الجند و الحصول على ما يكفي نفقاته[2].

و أصبح هذا المنصب مجالا للمنافسة و إثارة البلبلة بدلا من تهدئة الأوضاع. فقد نافس بجكم[3]،أحد قواد ابن رائق سيده و هزمه و دخل بغداد و حل مكانه في إمرة الأمراء[4].

و تجلى الاضطراب في العراق في ولاية بجكم لمحاولة ابن رائق استعادة منصبه فتوسط الخليفة بينهما و أبقى بجكم معه كأمير الأمراء، و جعل ابن رائق واليا على الشام. و بقي بجكم في منصبه إلى أن توفي الخليفة الراضي بالله[5].

و قد وصف ابن الأثير أوضاع دولة الخلافة العباسية في عهد الراضي فقال: " ... و لم يبق للخليفة غير بغداد و أعمالها و الحكم في جميعها لابن رائق ليس للخليفة حكم و أما باقي الأطراف، فكانت البصرة في يد ابن رائق، و خوزستان في يد البريدي، و فارس في يد عماد الدولة بن بويه[6].

---

[1]/ المصدر السابق ، ص 282 .

[2]/ ابن الطقطقى ، المصدر السابق ، ص 282 .

[3]/ بجكم التركي: تولى إمرة الأمراء و كان عاقلا يفهم بالعربية و لا يتكلم بها و كان يحب العلم و أهله كثير الصدقات ابتدأ بعمل مارستان ببغداد فلم يتم، فجدده عضد الدولة بن بوية توفي لسبع بقين من رجب 329ه. ابن كثير، المصدر السابق ، ج16، ص 135 ، 136 .

[4]/ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج7، ص 138 .

[5]/ الصولي ، المصدر السابق ، ص 109 . مسكويه ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 219 ، 220 .

[6]/ المصدر السابق ، ج7 ، ص 123 .

و كرمان في يد أبي علي محمد بن الياس، و الري و أصفهان و الجبل في يد ركن الدولة بن بويه ..."[1]

توفي الراضي سنة 329هـ فخلفه إبراهيم بن المقتدر بلقب المتقي لله (329-333هـ)[2] و في عهد قتل أمير الأمراء بحكم على يد بعض الأكراد فعاد ابن رائق إلى بغداد و تسلم منصب أمرة الأمراء[3].

لم تكن أيضا الأمور لصالح فقد نافسه هذه المرة أبو عبد الله البريدي، و هزمه في معركة عسكرية، و نهب البريديون دار الخلافة، و فعلوا ما لم يفعله أحد قبلهم. و فر الخليفة مع ابنه و محمد ابن رائق للموصل لطلب المساعدة من الحسن بن عبد الله بن حمدان[4]و يبدو أنه طمع بمنصب أمرة الأمراء فأرسل أخاه أبا الحسين علي بن عبد الله[5]مع الخليفة و اغتال ابن رائق مبررا فعلته بتآمر ابن رائق عليه[6].

و أصبحت أمرة الأمراء بيد العرب بشخص ناصر الدولة بن حمدان حسب اللقب الجديد الذي حصل عليه من المتقي لله. كما أطلق على أخيه سيف الدولة، فلم يعمل ناصر الدولة على حماية حقوق الخليفة بل استأثر بالسلطة و ضيق عليه و على أهل داره في

---

[1]/ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج7، ص 123 .

[2]/ الصولي ، المصدر السابق ، ص 183 – 186 .

[3]/ المصدر نفسه ، ص 197 ، 225 .

[4]/ الحسن بن عبد الله بن حمدان بن حمدون بن الحارث ناصر الدولة ، أخو الملك سيف الدولة، ابنا الأمير أبي الهجاء، كان أكبر من أخيه سنا و قدرا و هو الذي قتل محمد بن رائق و كان يداري بني بويه مات في سنة 358 ه. الذهبي، المصدر السابق ، ج16، ص 186، 187 .

[5]/ أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان صاحب حلب سيف الدولة، كان أديبا فيه التشيع مات سنة 356ه ، المصدر نفسه، ج16 ، ص 187 ، 188 .

[6]/ السيوطي ، المصدر السابق ، ص 316 .

النفقات و انتزع ضياعه و ضياع والدته، ثم ترك بغداد و عاد إلى الموصل[1].

أصبح منصب أمرة الأمراء فارغا و كان الخليفة بحاجة إلى حماية من البريديين، فاستنجد بتوزون و دخل بغداد في رمضان سنة 331هـ و خلع عليه و أعطاه أمرة الأمراء فلم يكن مخلصا للخليفة، فالتجأ إلى ابن حمدان ثانية[2] .

و من عاصمة الحمدانيين استنجد بمحمد بن طفج الأخشيد[3]، كما سعى لمصالحة توزون، و ذلك لابن ابن حمدان لم يحسن استقبال الخليفة و ضجر و شعر بملل منه، كما أنه لم يستطع التغلب على توزون[4].

رحل الخليفة إلى بغداد و معه توزون بعد أن آمنه في محرم سنة 333هـ، لكنه ما لبث أن قبض عليه و سلمه و سجنه، و بايع ابن المكتفي بلقب المستكفي بالله (333-334)[5] .

ساعده على فعلته الخلاف و التنافس بين أفراد البيت العباسي للوصول إلى الحكم، بالإضافة إلى دسائس النساء، و تفضيل الأتراك لمرشح دون الأمر لتحقيق مصالحهم[6].

---

[1]/ السيوطي ، المصدر السابق ، 312 .

[2]/ الصولي المصدر السابق ، ص 244 .

[3]/ محمد بن طفج الأخشيد: هو أبو بكر محمد بن أبي محمد طفج و تفسيره عبد الرحمان ابن جف بلتكين بن فوران الفرغاني الأصل، صاحب سرير الذهب المنعوت بالأخشيد صاحب مصر و الشام و الحجاز، أصله من أولاد ملوك فرغانة ابن خلكان، المصدر السابق ، ج15 ، ص 56 .

[4]/ الصولي ، المصدر السابق ، ص 246، السيوطي ، المصدر السابق، ص 313 .

[5]/ ابن كثير ، المصدر السابق،ج16، ص 116.

[6]/ حسن إبراهيم حسن ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 40 – 41 .

بقي توزون أمير الأمراء في عهد المستكفي المغلوب على أمره[1]، و انتقلت إمرة الأمراء بعد وفاته سنة 334هـ إلى كاتبه شير زاد، و لم يكن أفضل منه فقد لجأ إلى مصادرة أموال الناس ليزيد في أرزاق الجند، و فرض الأموال على الكتاب و العمال و التجار و أفراد الشعب و ازدادت الضرائب .

و استاء كثير من قواد بغداد فدعوا أحمد بن بويه[2] فرحل من الأهواز قاصدا بغداد في 11 جمادى الأولى سنة 334هـ حيث قابل الخليفة و احتفى به، و خلع عليه، و منحه إمرة الأمراء و لقبه عز الدولة[3].و ينتهي بهذا عصر نفوذ الأتراك ليبدأ عصر جديد هو عصر سيطرة البويهيين[4].

---

[1]/ المسعودي، مروج الذهب ، ج4 ، ص 283 – 284 .

[2]/ أحمد بن بويه، أبو الحسين أحمد بن بويه بن فنا خسر و بن تمام بن كوهي الديلمي الفارسي تملك العراق، و كان يتشيع و مات مبطونا، فعهد الى ابنه عز الدولة و مات 356ه، الذهبي ، المصدر السابق ، ج16، ص 189 ، 190.

[3]/ ابن الأثير، المصدر السابق ، ج7 ، ص ص 205 ، 207 .

[4]/ أمينة بيطار ، المرجع السابق ، ص 240.

المبحث الثاني: الثورات الداخلية:

1/ ثورة الزنج .

بعد مقتل المتوكل على الله سنة 247هـ، دخلت الدولة العباسية في جحيم من الفوضى و الاضطرابات السياسية الشديدة و جملة من الحروب و الفتن و الثورات و خاصة ثورة الزنج التي دارت أحداثها و رحالها في العصر العباسي الثاني للخلافة العباسية 255هـ – 270هـ[1] إذ كانت هذه الحركة أخطر الحركات التي هددت كيان الدولة العباسية في الصميم و أشغلتها حوالي أربعة عشر عاما[2].

فالزنج هم طائفة من العبيد الأفارقة و العناصر السوداء التي كثرت في العراق، و الذين كانوا يجلبون في الأكثر من سواحل إفريقيا الشرقية، كلفوا بالأعمال الشاقة دون أن يتقاضوا أجرا سوى قليل من التمر و الدقيق يقتاتون به[3].

و كما يدل اسم هذه الثورة فهي ثورة العبيد في وجوهي أسيادهم جاءت لتحرير العبيد و الأفارقة من البطش و الفقر و الاستعباد، مستهدفين وراء ذلك رفع منزلتهم و تحسين وضعهم[4]، و شاركت في هذه الثورة فئات مختلفة و متنوعة كالزنج، أهل القرى ، العرب الضعفاء و عشائر عربية ثائرة على السلطة[5].

و في وسط هذه الأوضاع و للنصف من شوال من سنة 255هـ. ظهر في نواحي البصرة رجل زعم أنه علي بن محمد بن[6] علي بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن

---

[1]/ الدوري ، دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، ص 59 .

[2]/ المرجع نفسه ، ص 75 .

[3]/ إبراهيم أيوب ، التاريخ العباسي السياسي و الحضاري، لبنان ، 1989 ، ص 114 .

[4]/ الدوري ، دراسات ، ص 75 .

[5]/ محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص 173 .

[6]/ علي بن محمد بن عبد الرحمن العبدي من عبد القيس، افترى و زعم أنه من ولد زيد بن علي العلوي، و كان منجما طرقيا ذكيا حروريا، ماكرا، الذهبي، المصدر السابق ج 13 ، ص 129 .

علي بن أبي طالب[1]، حيث ادعى هذا الأخير النسب العلوي الذي زرع فيهم روح دعاية لم يألفوها[2].

و شخصية علي بن محمد شخصية محيرة فعلا، إذ وصفت حياته بالغير طبيعية، بدأ حياته كشاعر في بلاط الخليفة بسامراء، لكنه رحل منها سنة 249ه إلى البحرين[3]، و اختلف المؤرخون حول نسبه، فقد كان رجلا فاضلا فصيحا بليغا لبيبا ، استمال قلوب العبيد من الزنج بالبصرة و نواحيها و عظم شأنه و قويت شوكته، ففي بادئ الأمر كان حاله فقيرا لا يملك سوى ثلاثة أسياف، حتى أنه أهدي له فرس لم يكن له لجام و لا سرج[4].

و جمع إليه الزنج الذين كانوا يكسحون السباخ، ثم عبر دجلة فنزل الديناری[5]، ولد في قرية ورزنين[6] من قرى الري و نشأ فيها، و لقب على بن محمد بصاحب الزنج، حيث لم يكن عبدا أسودا و قيل اسمه بهبوذا[7] و ثورة صاحب الزنج جهاته لم تأتي أو تنشأ بمحضى الصدفة أبدا، أو قامت لهوى طارئ أو نزعة جامحة، بل كانت لها دواعيها و أسبابها الخاصة التي أدت الى نشوبها و قيامها[8].

1/ ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج12، ص 85 .

2/ الطبري ، المصدر السابق ، ج9 ، ص 410 .

3/ أسامة أبو طالب ، الدولة العباسية ، دار البداية ، عمان ، 2013 ، ص 134 .

4/ ابن الجوزي ، القرامطة ، ط6، تح : محمد الصباغ ، بيروت ، 1984 ، ص 7 .

5/ الطبري ، المصدر السابق ، ج9، ص 410 .

6/ ورزنين : من أعيان قرى الري كالمدينة ، ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ، ياقوت بن عبد الله معجم البلدان ، دار صادر، بيروت، 1977 ، ج5 ، ص 371 .

7/ السيوطي ، المصدر السابق ، ص 289 .

8/ فاطمة سعيد خليفة محمد، حركة الزنج و آثارها السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية على الدولة العباسية، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر، إشراف عبد القادر عثمان محمد، تخصص التاريخ الإسلامي ، كلية الآداب، جامعة أم درمان الإسلامية 2009 ، ص 80.

فسياسيا كان مكمن الداء الذي انتشر في كيان الخلافة العباسية هو اشتداد سطوة النفوذ التركي و سيطرة القادة الأتراك على الساحة العباسية[1]، إضافة إلى سوء أحوالهم المعيشية و تردي وضعهم فقد كانوا يقاسون شظف الحياة و بؤسها و حرمانها جراء فقرهم المنقطع و تسلط أرباب العمل عليهم و احتقارهم لهم[2].

ناهيك عن عيشهم داخل المستنقعات و الأنهار التي تعج بالأوساخ و القذارة و الأوبئة مما يجعلهم هذا عرضة لكثير من الأمراض[3].

فإلى جانب كل تلك الدوافع و الأسباب الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية، كان هناك دافع أكثرهم شدة دفع بالزنوج إلى التفافهم حول ثورة علي بن محمد و قبولها،و اعتلاء أصواتهم بسبب ذجرهم و اختناقهم من بطش و جبروتي الملاك ألا و هو حرمانهم من الزواج و ابتعادهم عن بيئتهم و بلدانهم و إحساسهم بالغربة[4].

فبعد كل هذه الدوافع ابتدأت ثورة علي بن محمد لتحرير الزنج بعد رحيله من سامراء سنة 249ه[5] إلى البحرين متأثرا بما شهد و سمع في عاصمة الخلافة من فوضى و اضطرابات أشد التأثر، لأنه في سامراء لم يستطيع تحقيق مراده و ذلك لكثرة الجوسسة المحكمة و السلطة المركزية فاختار البحرين لبعدها عن مركز الدولة، و وجدها بيئة صالحة لنشر الدعايات الدينية و الاجتماعية، و بالفعل كسب أعوانا مخلصين له من أهل البحرين

---

[1]/ أحمد علبي ، ثورة الزنج و قائدها علي بن محمد، ط3، دار الفارابي، بيروت ، 2007 ، ص 129 .

[2]/ فاطمة سعيد خليفة محمد ، المرجع السابق ، ص 79 .

[3]/ محمد سهيل طقوش، المرجع السابق ، ص 177 .

[4]/ أحمد علبي ، المرجع السابق ، ص 173 .

[5]/ الطبري ، المصدر السابق ، ج9، ص 410 .

و كانوا من الطبقة العامة و أصحاب الحرف و الموالي كيحي البحراني مولى بني دارم و كان كيالا، و محمد بن سلم القصاب[1].

و قد ادعى كما ذكرنا آنفا النسب العلوي و دعا الناس بمدينة هجر قاعدة البحرين[2] الى طاعته، فانقسموا على أنفسهم و تقاتلوا بسببه بعد ذلك غير وجهته نحو مدينة الإحساء[3]،حيث نزل عند بني تميم و بني سعد، و هما أشد القبائل بأسا في البحرين[4] فأطاعه أهلها حتى كانوا لا يدعون شيئا من فضلاته يسقط الى الأرض و يأخذونه تبركا به، و كثر أتباع الخبيث على بن محمد ويحي له الخراج و نفذ حكمه و دافع الولاة و جرت بينهم الوقائع[5].

و يقول المؤرخون أن أصل البحرين أحلوه في أنفسهم محل النبي فيما ذكر حتى جبي له الخراج هناك و نفذ حكمه بينهم[6]، فدعاهم إلى الخروج على السادة الظالمين و مناهم و وعدهم أن يقودهم و يرئسهم و يملكهم الأموال و حلف لهم الأيمان الغلاظ ألا يغدر بهم و لا يخذلهم و لا يدع شيئا من الإحسان إلا أتى إليهم[7].

و بعد بذر بذور حركته في البحرين كانت وجهته التالية هي البادية و استغل

---

[1]/ فيصل السامر ، ثورة الزنج ، ط2 ، دار المدى ، سوريا ، 2000 ، ص 51 .

[2]/ البحرين : فإنها في ناحية نجد و مدينتها هجر و هي أكثر تمورا، ألا أنها ليست من الحجاز و هي على شط بحر فارس، و هي ديار القرامطة و لها قرى و قبائل كثيرة، الاصطخري، لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي، المسالك والممالك، مطبعة بريل ، ليدن ، 1927 ، ص 19 .

[3]/ الإحساء: مدينة على البحر الفارسي تقابل جزيرة أوال و هي بلاد القرامطة و الإحساء مدينة صغيرة و بها أسواق تقوم بها، الحميري ، محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطار في أخبار الأقطار، ط2، مؤسسة النشر للثقافة، لبنان، 1980 ، ص 14 .

[4]/ أحمد علبي ، المرجع السابق ، ص 64 .

[5]/ الصفدي، صلاح الدين خليل ابن أبيك، الوافي بالوفيات ، ط2، دار صادر ، بيروت ، 1991 ، ج21 ، ص 407 .

[6]/ أسامة أبو طالب ، المرجع السابق ، ص 134 .

[7]/ محمود و الشريف ، المرجع السابق ، ص 350 .

سذاجة البادية و أوهم أهلها بادعائه نسب يحي بن عمر العلوي المقتول بالكوفة[1].

و بعد انتقاله للبادية صحبة جماعة من أهل البحرين منهم رجل كيال من أهل الإحساء[2]، يقال له يحي بن محمد الأزرق المعروف بالبحراني[3] كان تاجرا من أهل هجر[4].

و أحاط في البادية نفسه بهالة من القدسية، مدعيا أنه أوتي الغيب و أنه يستطيع إتيان الخوارق، حيث ذكر المؤرخون أنه انتحل قرآنا خاصا به، و أن سورا منه كانت تجري على لسانه كأنها من فعل وحي سماوي، فلما علم أن البادية لم تكن بالبيئة الصالحة لنشر دعوته لما تميز به البدو و من النزعة الفردية و عدم انقيادهم لمثل هذه الدعوات الروحية الغامضة.

و اتبعه في البادية أعداد كبيرة من الناس هناك فزحف بهم إلى موضع بالبحرين يدعى الردم[5]، فقاتله أهلها و هزموه، أي دارت بينه و بين معارضيه معركة أو موقعة عظيمة انتهت بانهزامه إذ قتلوا من أصحابه جماعة كبيرة قتلا ذريعا[6].

و هم عرب فتراجعوا عن نصرته[7]، و بعبارة الطبري فنفرت عنه العرب و كرهته[8]

1/ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج7 ، ص 207 .

2/ الطبري ، المصدر السابق ، ج9 ، ص 411 .

3/ هجر ، مدينة و هي قاعدة البحرين و ربما قيل الهجر بالألف و اللام و قيل ناحية البحرين كلها هجر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص 393 .

4/ فيصل السامر ، المرجع السابق ، ص 52 .

5/ الردم : قرية لبني غامر بن الحارث العبقسين بالبحرين و هي كبيرة قال: كم غادرت بالردم يوم الردم، من مالك أو سوقة سيدمي ، ياقوت الحموي، المصدر السابق ، ج3، ص 40 .

6/ فاطمة سعيد خليفة محمد، المرجع السابق ، ص 56 .

7/ محمد عمارة، ثورة الزنج، المنشأة الشعبية ، 1979 ، ص 57 .

8/ الطبري ، المصدر السابق ، ج9 ، ص 411 .

و بعدما باءت محاولته بالفشل و انهزامه في معركة الروم، كان له ظهور ببئر نخل بين مدينة الفتح و كرخ البصرة في ليلة الخميس لثلاث بقين من شهر رمضان سنة قدومه للبصرة 254هـ[1].

فنزل بها في بني ضبيعة[2]،و هي قبيلة عربية من نزار بن معد بن عدنان، فكان له فيهم أنصار أصبح بعضهم زعماء في الثورة و قادة جيشها و أبطالا مبرزين في معاركها .

كعلي بن أبان المعروف بالمهلبي و كان قائد القواد و أمير الأمراء في الثورة، و محمد بن أبان و الخليل بن أبان و غيرهم[3] و وقف أثناء إقامته القصيرة فيها على أوضاعها الداخلية السياسية و الاجتماعية، حيث كان المجتمع البصري منقسما على نفسه[4] إلى حزبين متخاصمين البلالية و السعدية[5]، مستغلين هذه الفتنة التي قامت بين أهل البصرة لنشر دعوته و كسب محبة أحد الطرفين[6]، فعند دخولهم البصرة أسرع إلى بعض غلمانها رغبة في التخلص من الرق[7]، و يقول ابن الأثير: " و أتاه مواليهم و بذلوا له على كل عبد خمسة دنانير ليسلم إليه عبده فبطح أصحابهم و أمر كل من عنده من العبيد، فضربوا مواليهم أو وكيلهم كل سيد خمسمائة سوط، ثم أطلقهم"[8].

---

[1]/ المسعودي ، مروج الذهب و معادن الجوهر، ج4، ص 156 -157 .

[2]/ الطبري، المصدر السابق ، ج9 ، ص 411 .

[3]/ محمد عمارة ، المرجع السابق ، ص 57 و 58 .

[4]/ أسامة أبو طالب ، المرجع السابق ، ص 136 .

[5]/ عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن 4ه، ط3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، 1995 ، ص 94 .

[6]/ الطبري ، المصدر السابق ، ج9 ، ص 411 .

[7]/ حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق ، ج3، ص 218 .

[8]/ المصدر السابق ، ج7 ، ص 47 .

لكن محاولته لنشر دعوته بالبصرة باءت بالفشل بسبب سوء الأحوال الإمارة في عهد محمد بن الرجاء و فتح السجون و نهب بيت المال[1]، بعدها أمر صاحب الزنج أربعة نفر من أصحابه، فخرجوا بمسجد عباد أحدهم يسمى محمد بن سلم القصاب الهجري و الآخر بريش القريعي، فدعوا إليه فلم يجبه من أهل البلد أحد وقال إليهم الجند فتفرقوا و لم يظفر بأحد منهم[2]، و كما ذكرنا سالفا أن الدولة و عاملها محمد بن رجاء الحضاري طاردو صاحب الزنج حيث أدخلوا عدد من أتباعه السجن[3]، و من بينهم ابنه الأكبر و زوجته و معها ابنه له و جارية حامل و أيضا يحي بن أبي ثعلب و غيرهم[4].

فلاذ بالفرار إلى بغداد، و بينما هو في طريقه لها وشي به من أهل البطائح[5] عمير بن عمار، فأخذهم هو و أتباعه و حملهم إلى محمد بن أبي عون و هو عامل السلطان بواسط، فاحتال لابن أبي عون حتى تخلص هو و أصحابه من يده، ثم إلى مدينة السلام، و أقام بها حولا[6].

ثم ولى البصرة في شهر رمضان سنة خمس و خمسين و مائتين و معه على بن أبان[7]، و استولى على غلمان الناس من الزنوج يبذل لهم الأموال و يطمعهم في النهب[8].

1/ فيصل السامر، المرجع السابق ، ص 5 .

2/ الطبري ، المصدر السابق ، ج9، ص 411 و 412 .

3/ محمد عمارة ، المرجع السابق ، ص 58 .

4/ الطبري ، المصدر السابق ، ج9، ص 412 .

5/ الصادق عبد الرسول المهدي ، "حركة الزنج بالعراق 255هـ - 270 هـ "، المجلة العلمية لجامعة الامام المهدي ، ع8 (2016) ، ص 43 و 82 .

6/ الطبري، المصدر السابق، ج9، ص 412 .

7/ الصفدي، المصدر السابق ، ج21 ، ص 407 .

8/ أحمد علبي ، المرجع السابق ، ص 70 .

و استنبط أيضا لنفسه نسبا علويا جديدا فانتسب إلى أحمد بن عيسى بن زيدو بعدها عمد إلى حريرة فكتب فيها بالأحمر و الأخضر: " إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأن لهم الجنة"[1].

و كتب اسمه و اسم أبيه و علقه على رأس بردي[2]، و خرج في الصح من ليلة السبت لليلتين بقيتا من شهر رمضان[3]، و بعد عودة صاحب الزنج للبصرة وجه دعايته الى الزنج في السهول الواقعة شرق البصرة بعد أن مكث فيها يدرس الأوضاع، فلاقت دعوته هذه نجاحا سريعا[4].

و مازال الزنج يلتفون حول صاحبهم، فقد خطب بهم وصلى بهم أيضا إلى أذهانهم ما كانوا يلقونه من ظلم وعنت و ذل و قهر، و مناهم الأماني الطيبة من إطلاق حروباتهم و استمتاعهم بالأموال التي يغتنموها في حروبهم[5].

فحركة الزنج في بادئ أمرها كانت حركة ضد كبار الملاك، ثم تطورت و تغير مسارها فأصبحت صوب الدولة، لأن الخلفاء و الولاة ظالمون ينتهكون حرمة الله، فسمح علي بن محمد لرجاله بالقيام بسلب السلاح و الأموال لاستخدامها في قتال أعدائها[6]

---

[1]/ الصفدي ، المصدر السابق ، ج21 ، ص 407 .

[2]/ المصدر نفسه ، ج21 ، ص 407 .

[3]/ الدوري ، دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، ص 82 .

[4]/ الطبري ، المصدر السابق ، ج9، ص 41 .

[5]/ محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص 178 .

[6]/ أمينة بيطار ، المرجع السابق، ص 246 .

حيث اتخذ من مدينة المختارة[1] التي بناها قاعدة له منبرا يصعد عليه و يسب عثمان و عليا و معاوية و طلحة و الزبير و عائشة رضي الله عنهم[2]، و كان ينادي على المرأة العلوية في عسكره ينادي على المرأة من ولد الحسن و الحسين و العباس من ولد هاشم و غيرهم من سائر العرب[3].

و أبناء الناس تباع الجارية منهم بالدرهمين و الثلاثة، و ينادى عليها بنسبها هذه ابنة فلان الفلاني، لكل زنجي منهم العشرة و العشرون و الثلاثون إذ استغاثت إلى علي بن محمد امرأة من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب كانت عند بعض الزنج و سألته أن ينقلها إلى غيره من الزنج أو يعتقها مما هي فيه، فقال مولاك و أولى بك من غيره[4].

فتملك صاحب الزنج الأبلة، فنهبها و أخربها و أحرقها بالنار[5]، و كان دخوله لها سنة 256هـ فقتلوا فيها خلقا كثيرا منهم عبد الله بن حميد الطوسي[6] و قتل بها ثلاثين ألفا[7].

كما أن جيوش علي بن محمد أحلوا الفزع و الخوف في قلوب الأهليين بسبب أنهم استولوا على ألف و تسعمائة سفينة كانت تحمل بعض الحجاج إلى مكة[8]، حيث كان هؤلاء

1/ المختارة : تقع على قناة نهر أبي الخصيب جنوبي شرقي البصرة قام بإنشائها علي بن محمد، و هي مدينة حصينة بأسوارها و خنادقها بالإضافة إلى الحصانة الطبيعية أدغال كثيفة و قنوات عديدة، جعلها قريبة من البحر و البادية، الطبري، المصدر السابق ، ج11 ، ص 191 و 211 و 212 .

2/ السيوطي ، المصدر السابق ، ص 289 .

3/ أمينة بيطار ، المرجع السابق ، ص 246

4/ المرجع نفسه ، ص 247 .

5/ اليعقوبي، المصدر السابق ، ج2 ، ص 477 .

6/ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج12 ، ص 108 .

7/ الذهبي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 229 .

8/ حسن إبراهيم حسن ، المرجع السابق ، ج3، ص 218 .

الزنوج يشتغلون عادة في جماعات كبيرة تتراوح بين ألف و خمسة آلاف، بلغ أكثر بكثير ففي منطقة دجيل[1] بالأهواز بلغت خمسة عشر ألفا[2].

فصاحب الزنج هو و جيوشه ألقوا الرعب و الفزع و الخوف في قلوب الأهليين حتى عجزوا عن مقاومتهم و شكوا إلى الخليفة المهتدي 255ه – 256ه ما حل بهم من بلاء[3]، فأرسلت الدولة العباسية لهم جيشا بقيادة القائد جعلان تحرك على رأس جيشه إلى البصرة في سنة 256ه لتحقيق المهمة الموكلة له و المتمثلة في دحر علي بن محمد (صاحب الزنج) و أتباعه بالقضاء عليهم[4]، لكن جعلان و جيوشه لم يكونوا على نفس حنكة و دهاء علي بن محمد و عسكره، فلقد بقيوا ستة أشهر صامدين في أماكنهم لكن خصمه الداهية استغل جهل جعلان و ارتباكه فبيت له و شتت أصحابه، فاضطر القائد التركي أن ينسحب إلى البصرة[5].

و بعد هذا الانتظار زاد شغفهم للسيطرة و المهاجمة، فبعد أن سيطروا على الابلة[6] المرفأ التجاري العظيم، و قتل أبو الأحوص و ابنه و أضرمت نارا و نشأت ريح عاصف فأطارت شرر ذلك الحريق حتى وصلت شاطئ عثمان فاحترق و غرق فيها خلق كثير، فما أحرقته النار أكثر مما نهب[7].

---

[1]/ دجيل : نهر بالأهواز حفره أردشير بن بابك أحد ملوك الفرس، و قال حمزة : كان اسمه في أيام الفرس ديلداكودك و معناه دجلة الصغيرة فغرب على دجيل و مخرجه من أرض أصبهان و مصبة في بحر فارس قرب عبادان، ياقوت الحموي، المصدر السابق ، ج2 ، ص 443 .

[2]/ الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن 4 ه ، ص 94 .

[3]/ حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق ، ج3، ص 218 .

[4]/ فاطمة سعيد خليفة محمد، المرجع السابق ، ص 100 .

[5]/ الدوري، دراسات في العصور العباسية المتآخرة، ص 86 .

[6]/ الأبلة : اسم بلد، بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة و هي أقدم من البصرة، ياقوت الحموي، المصدر السابق ، ج1، ص 77 .

[7]/ الطبري ، المصدر السابق ، ج9، ص 472 .

فبعد سماع أهل عبادان و هي مدينة على جزيرة في مصب دجلة العوراء ذعروا و فتحوا له أبواب مدينتهم ليسلموا مما صار لأبله[1]، حيث استخدموا العنف مع خصومهم، فكانوا يقتلون كل من وقع في أيديهم سواء من المقاتلين أو غيرهم، و لم ينج من فضائعهم لا النساء و لا الأطفال و حتى من استأمنوهم عند روابهم و قتلوهم[2].

و استطاع بعد السيطرة على الأبلة أن يسيطر صاحب الزنج أيضا على عبادان، بعد أن كبتوا أهلها له يطلبون الأمن و الأمان منه خوفا على أرواحهم و أموالهم و أهاليهم فاستسلموا قبل دخوله لها و سلموه حصنهم، فأمر بعد ذلك أصحابه بنهب الأهواز و العبيد و السلاح و وزعهم عليهم[3].

فزاد طمعه بعد ذلك و تعطش للمزيد من السيطرة على باقي المناطق، فكانت فريسته التالية الأهواز، فاستنهض أصحابه نحو جبي[4]، فلم يلبث أهلها، و هربوا منهم، فدخلها الزنج و قتلوا من رأو بها و أحرقوا و نهبوا، فلما بلغوا الأهواز[5]هرب من فيها من الجند و من أهلها و لم يبقى إلا القليل[6] فقتلوا زهاء خمسين ألفا[7].

فأحرقوها و خربوها و أسروا إبراهيم بن المدبر بعد أن ضرب ضربة على وجهه و

---

[1]/ الدوري ، دراسات في العصور العباسية المتآخرة، ص 87 .

[2]/ محمود و الشريف ، المرجع السابق ، ص 352 .

[3]/ فيصل السامر ، المرجع السابق ، ص 102 .

[4]/ جبي: بالضم ثم التشديد و القصر: بلد أو كورة من عمل خوزستان، و من الناس من جعل عبادان من هذه الكورة و هي في طرف من البصرة و الأهواز، ياقوت الحموي، المصدر السابق ، ج2، ص 97 .

[5]/ الأهواز : اسم للكورة بأسرها و الاسم الذي يغلب عليه العامة اليوم هو سوق الأهواز، المصدر نفسه ، ج1 ، ص 284 .

[6]/ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 290 .

[7]/ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج 12 ، ص 152 .

حووا كل ما كان يملك من مال و أثاث و رفيق[1].

و بهذا تكون الأهواز قد سقطت بين أيدي صاحب الزنج و غلمانه و ذلك سنة الاثنين 12 رمضان سنة 256هـ.

ففي أقل من سنة واحدة استطاع علي بن محمد أن يخضع لسلطانه مدنا عظيمة الأهمية و يسود على مصب دجلة[2]، فلما فعل ذلك بالأبلة و الأهواز و عبادان خافه أهل البصرة، و انتقل كثير من أهلها في البلدان[3]، فقد أحلوا الرعب و القرع في نفوسهم و قتل منهم أعدادا كبيرة و استخفى من سلم من أهل البصرة في آبار النور فكانوا يظهرون ليلا و يطلبون الكلاب فيذبحونها و يأكلونها و يأكلون الفئران، و صار إذا مات الواحد منهم أكلوه[4].

ففي اليوم الواحد قتل في البصرة ثلاثمائة ألف آدمي[5]، و التقاه عسكر بغداد و عليهم سعيد الحاجب فانهزموا و استحر بهم القتل، و وثبت السودان و أخربوا جامع البصرة[6].

و قتلوا أهلها و سبوا الأطفال و النساء و عم الخراب فيها، بسبب الحصار الاقتصادي الذي فرضه صاحب الزنج الذي أضر بأهلها و خرجوا عنها و أتاحوا له فرصة الدخول إليها يوم الجمعة شوال سنة 257 هـ[7].

---

[1]/ الطبري ، المصدر السابق ، ج9 ، ص 473 .

[2]/ فيصل السامر ، المرجع السابق ، ص 103 .

[3]/ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 290

[4]/ أمينة بيطار ، المرجع السابق ، 247 .

[5]/ السيوطي ، المصدر السابق ، ص 289 .

[6]/ الذهبي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 229 .

[7]/ الصادق عبد الرسول مهدي، المرجع السابق ، ص 43 و 82 .

و بعدها سيطروا على واسط 264 ھ و دخلوا أيضا 265 ھ النعمانية[1] فخلال عشرة أعوام من 255 ھ – 265ھ سيطر علي بن محمد على رقعة واسعة تمتد بين الأهواز و واسط، و هدد بغداد، عندئذ عهد الخليفة المعتمد إلى أخيه أبي أحمد الموفق طلحة لمحاربة صاحب الزنج بعد أن لمع صيته و سطع نجمه بين الزنوج و العبيد، فكان يرى أنه لا بد من وضع حد لبطشه هذا[2].

مدركا خطورة الوضع الذي سيحل أو حل بالأمة و الدولة إذا عم الفساد من صاحب الزنج و جيوشه[3]، و بعد خلع المعتمد على الله لأخيه الموفق أو على المفلح يوم الخميس مستهل ربيع الأول سنة ثمان و خمسين و مائتين 258 ھ و أشخصهما لمحاربة الزنج[4]، انضم للموفق قادة من الجند الأتراك لجيشه، فتجمعت قوات كبيرة تحت قيادته لصد هجمات علي[5].

فتولى هذا القائد الموفق قيادة العمليات العسكرية بنفسه و استعمل كل الإمكانيات التي لديه سياسية و اقتصادية و عسكرية ليكفل النجاح و يضع حد لصاحب الزنج و رفاقه[6]، و لما اطمأن الموفق من ناحية أعدائه الآخرين تفرغ لحرب الزنج و تولى قيادتها بنفسه و خرج من بغداد إلى واسط في شهر صفر سنة 267ھ. فهزم منهم الكثير و أسر

1/ أحمد علبي ، المرجع السابق ، ص 203 ، 204 .

2/ أسامة أبو طالب ، المرجع السابق ، ص 137 .

3/ حسام الدين السامرائي، "الخلافة العباسية و الحركات المضادة بعد منتصف القرن 3ه"، حوليات آداب عين شمس، ع 36 (2008) ، ص 93 .

4/ المسعودي ، مروج الذهب و معادن الجوهر ، ج4 ، ص 160 .

5/ حسام الدين السامرائي ، المرجع السابق ، ص 93 .

6/ محمد سهيل طقوش، المرجع السابق ، ص 178 .

بعضهم[1]. و بعث بعد ذلك الموفق لصاحب الزنج كتابا يدعوه إلى التوبة إلى الله تعالى لكنه رفض ذلك، فعندما لم يرد عليه بدأ الموفق يستعد هوايته و جيوشه لضرب حصن الزنج المدينة التي بناها و سماها المختارة[2]، فقام ببناء مدينة الموفقية تحمل اسمه يوم 15 شعبان سنة 267ه بقرب المختارة لكي يستطيع ضربها و حصارها، و قد زاوج الموفق في قتال صاحب الزنج بين أسلوبي الحرب و السياسة و أتى الأمور من مآتيها[3]، فنهد إليه الموفق طلحة بعساكر كثيفة فالتقيا بين البصرة و واسط و دامت الحرب بينهما سنين كثيرة، و بنوا مدائن هناك، و أقام كل من الفريقين يرابط الفريق الآخر[4].

و في آخر الأمر كانت الغلبة للجيش العباسي، فأبادوهم قتل و أسر[5]، و حاصروا خبيث الزنج في قصره و مدينته المختارة[6]، حيث استمر الموفق في قتالهم إلى حين استسلموا بعد أربعة عشر عاما سنة 255ه –270ه، و قتل صاحب الزنج من طرف الموفق فقدم ابنة أبا العباس إلى بغداد، و معه رأس الخبيث ليراه الناس فبلغها الاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى من هذه السنة ، و قتل يوم السبت لليلتين خلتا من صفر سنة سبعين و مائتين 270 ه[7].

و عملت قباب الزينة بعد قتل الموفق له وضج الناس بالدعاء له و مدحه

1/ حسن إبراهيم حسن ، المرجع السابق ، ج3، ص 219 .

2/ الذهبي، المصدر السابق ، ج1 ، ص 239 .

3/ محمود و الشريف ، المرجع السابق، ص 256 .

4/ ابن الطقطقى ، المصدر السابق ، ص 250 .

5/ المصدر نفسه ، ص 251

6/ الذهبي، المصدر السابق ، ج1 ، ص 240 .

7/ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج6، ص 424 .

الشعراء[1]، و كتب الموفق إلى أمصار المسلمين و ذلك ليدعوهم للعودة إلى مواطنهم التي دخلها الزنج و هذا لعودة الأمن و الاستقرار و قام بتولية مناصب لقواده في تلك المناطق التي نهبها[2].

و بإخماد هذه الثورة أسدل الستار على هذه الحركة التي قضت مضاجع الخلافة العباسية و كلفتها أموالا طائلة، و أفرغت بيت المال من محتوياته[3].

2- ثورة القرامطة :

ظهرت في أواخر حكم المعتضد بالله العباسي (279 هـ – 289 هـ) دعوتان جديدتان هددتا كيان الدولة الإسلامية من الشرق و الغرب، إحداهما قامت في الشرق و هي حركة القرامطة الإسماعيلية و شملت بلاد جنوب الشام و العراق و جزيرة العرب و اليمن أما الدعوة الأخرى فقامت في الغرب و هي الدعوة الفاطمية الإسماعيلية، حيث اتحدتا هاتان الدعوتان في المذهب أي الاسماعيلي و اختلفا في الآراء[4].

فحركة القرامطة هي حركة ظهرت في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري و تعتبر عملية مرحلية لها أهداف معينة، إذ تعد خطوة من خطوات الإسماعيلية التي اتخذت في تنظيمها طابع السرية و العسكرية، و كان مركز هذه الدعوة في مدينة واسط[5].

---

[1]/ السيوطي ، المصدر السابق ، ص 289 .

[2]/ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج12 ، ص 228 ، 229 .

[3]/ ابراهيم أيوب ، المرجع السابق ، ص 115 .

[4]/ ناريمان صادق عبد القادر الألشي، الدولة العباسية في عصر المعتضد بالله 279 – 289 هـ ، 892 – 902 م ، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، إشراف محمد حمدي المناوي، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى مكة المكرمة ، 1988 ، ص 102 .

[5]/ واسط: سميت لأنها متوسطة بين البصرة و الكوفة و قيل أنه أرادوا بلدا واسطا أو مكان واسط فهو منصرف على كل حال و الدليل قولهم واسطا، الحموي، المصدر السابق، ج5 ، ص 347 .

و التي كانت هذه الأخيرة وسطا صالحا لنمو الدعوة و انتشارها[1]، و القرامطة هم قوم يعرفون بقرامطة سواد الكوفة و هم زنادقة مارقون من الدين[2]، فكان ابتداء أمرهم قدوم رجل من ناحية خوزستان إلى سواد الكوفة و مقامه بموضع يقال له النهرين و اسمه حمدان القرمطي[3].

ثم عمد حمدان القرمطي إلى بناء مركز الدعوة القرمطية في مكان قرب الكوفة و قد سماه دار الهجرة و اتخذه منطقا لبث دعوته هاته[4]، إذ يعتبر حمدان بن الأشعث المعروف بقرمط أحد دعاة القرامطة الأوائل، حيث اعتمدت هذه الحركة على عنصر المال فقد فرض حمدان على أتباعه الضرائب و جمع الأموال و كان يغري الفقراء بإعطائهم جزءا مما يقبض أو يجمع[5].

و تظاهر حمدان بالعبادة و التقشف و الدعوة إلى إمام من آل البيت فلقيت دعوته صدا كبيرا عند أنصار آل البيت و اشتد خطر هذه الحركة بعد ظهور زعيمها أبي سعيد الجنابي[6] في البحرين، و ذلك سنة 286 ه و إذا أردنا أن نحلل أسباب هذه الثورة لوجدناها دوافع متشابهة مع دوافع قيام حركة الزنج و تعود إلى الأحوال الاجتماعية و الاقتصادية في المنطقة[7].

---

[1]/ ابن الجوزي ، القرامطة ، ص 14

[2]/ الذهبي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 249 .

[3]/ الطبري ، المصدر السابق ، ج10 ، ص 23 .

[4]/ ابن الجوزي ، القرامطة ، ص 14 – 15 .

[5]/ محمد حسن العيدوسي ، التاريخ السياسي و الحضاري للدولة العباسية ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ، 2010 ، ص 194 .

[6]/ أبا سعيد الجنابي: و هو الحسن بن بهرام قبحه الله رأس القرامطة، و الذي يعول عليه في بلاد البحرين و ما والاها كان يلي بلاد واسط الى شهر زور و غير ذلك، و قد خلف من الأموال شيئا كثيرا، فمن ذلك ألف ألف دينار و من آنية الذهب و الفضة نحو مائة ألف دينار و من البقر ألف ثور، و من الخيل و البغال و الجمال ألف رأس ، ابن كثير، المصدر السابق، ج11، ص 122 .

[7]/ أمينة بيطار، المرجع السابق ، ص 248 .

و كان القرامطة يحملون ألقابا عديدة كالإسماعيلية و الباطنية و الحزمية و البابلية و المحمرة و السبعية و التعليمية[1].

و نجد أن حمدان بن القرمط[2]، استغل الفئات المتضررة من سوء الأوضاع غاية الاستغلال و نادى بمبادئ تقبلتها[3]، بهذه الدعوة انتشرت بين الفلاحين الجهلة الذين كانوا يعانون من جشع و بطش الحياة و استغلال الملاكين[4].

إذ كان الملاك الإقطاعيون يسومونهم سوء العذاب مع التقدير الشديد في الأجور و انضم إليها أيضا كثير من الطبقة الكادحة في المدن إذ وعدهم حمدان بأنه سينقلهم من الشقاء و العناء و الفقر إلى كل ما اسمه سعادة و غنى وعز[5].

ففي سواد الكوفة التقى قرمط بالحسين الأهوازي و بعدها أعلن ثورته عام 278هـ و كانت أول ثورة للقرامطة ثورة حمدان بن الأشعث حيث كان يتلقى أوامره من سلمية عبر الأهوازي[6].

و بعد وفاة هذا الأخير، أظهر حمدان نشاطا و حماسة في نشر الدعوة، ففي الثاني عشر من شوال سنة 287هـ، ثار القرامطة في منطقة حنبلاء من السواد و قتلوا عددا كبيرا من النساء و الأطفال و أحرقوا المنازل[7].

1/ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج10 ، ص 380 .

2/ حمدان القرمط: حمدان بن الأشعث المعروف بقرمط لقصر قامته، ذكر أن ظهور القرامطة بدأ بقدوم هذا الرجل من ناحية خوزستان الى سواد الكوفة، فكان بموضع يقال له النهرين يظهر الزهد و التقشف و يسف الخوص و يأكل من كسب يده و يكثر الصلاة فأقام على ذلك مدة، ابن الأثير ، المصدر السابق، ج6، ص 461 .

3/ أمينة بيطار ، المرجع السابق ، ص 248 .

4/ الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص 95 .

5/ شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص 35 .

6/ ياسر جاسم قاسم ، القرامطة و العدالة الاجتماعية، دار ضفاف للطباعة و النشر، قطر ، 2018 ، ص 120 .

7/ حسام الدين السامرائي، المرجع السابق ، ص 99 .

و في سنة 289هـ، استفحل خطر القرامطة مرة أخرى في الكوفة، فتصدى لهم الخليفة العباسي المعتضد بالله عندما أولى شبلا مولى أحمد بن الطائي لمحاربتهم فوقع بين أيديه أحد قواد القرامطة و هو أبا الفوارس فعذبه و قطع يداه و رجلاه[1]، ثم صلب إلى جانب وصيف الخادم ثم حول إلى ناحية الكنائس مما يلي الياسرية من الجانب الغربي، فصلب مع قرامطة هناك[2].

و في سنة 290هـ، خرج يحي بن زكرويه القرمطي، فاستمر القتال بينه و بين عسكر الخليفة، فقام عوضه أخوه الحسين[3] المشهور بصاحب الشامة لوجود شامة في وجهه ذكر أنها آيته و ادعى أنه أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل و دعا إلى مثل ما دعا إليه أخوه[4].

ثم جاءه ابن عمه عيسى بن مهرويه و زعم أنه المدثر و أنه المعني في السورة و لقب غلاما له المطوق بالنور و ظهر على الشام و عاث و أفسد و تلقب بأمير المؤمنين المهدي و دعي له على المنابر[5].

و انهزم أصحاب القرمطي و أسر من رجالهم بشر كثير و قتل منهم عدد عظيم و تفرق الباقون في البوادي[6].

1/ الطبري ، المصدر السابق ، ج 10 ، ص 283 .

2/ المسعودي ، مروج الذهب ، ج4 ، ص 214 .

3/ السيوطي ، المصدر السابق ، ص 299 .

4/ الدوري، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، ص 171 – 172 .

5/ السيوطي ، المصدر السابق ، ص 299 .

6/ الطبري ، المصدر السابق ، ج11، ص 11 .

و أما القرامطة فعظم بهم البلاء و التزم لهم أهل دمشق بأموال عظيمة فترحلوا ثم افتتحوا حمص، و ساروا إلى حماة و المعرة يقتلون و يسبون و قتلوا أكثر من أهل بعلبك

ثم استباحوا سلمية فالتقاهم جيش الخليفة بقرب حمص فكسروهم و أسروا خلائق و ذلت القرامطة لعنهم الله، ثم انهزم رئيسهم مع ابن عمه و آخر فوقعوا بهم فحملوهم إلى المكتفي فقتلهم و أحرقوا و بهذا انتهى أمر القرامطة سنة 291 ه[1].

[1]/ الذهبي ، المصدر السابق ، ج1، ص 262 .

الفصل الثاني:

الأزمات الاقتصادية في العصر العباسي الثاني

المبحث الأول: الفساد الإداري و المالي:

إن ضبط الإدارة و خاصة الإدارة المالية يدل على نجاح الدولة و مقدرتها على السيطرة على الواردات و المصروفات (النفقات)، لكن في العصر العباسي الثاني حدث العكس، حيث أن فساد الإدارة المالية كان يصدر من فساد الوزراء[1].

فالإدارة الفعلية كانت في يد الوزراء و القادة و الكتاب[2]، و كان أغلب هؤلاء لا يفكرون بالإصلاح الإداري و المالي بقدر ما يفكرون بطرق الأموال سواء عن طريق الاختلاس أو الرشوة، و تقديم الأموال للخليفة و النساء[3] كما اطمعوا الجيش بالتدخل في شؤون الدولة و تحالفهم في كثير من الأحيان مع الجيش ضد الخليفة[4].

كما أن فساد الإدارة المالية كان ينبع من فساد الوزراء الذين جعلوا أمر تعيين العمال الولايات مجالا للمساومة و جمع المال فمن يدفع أكثر يستحق التعيين بغض النظر عن مقدرته الإدارية و إخلاصه، و الطرق التي يتبعها في جباية الأموال و مدى تعسفه و ظلمه، دون مراعاة للصالح العام[5].

و قد أصبح نظام الإدارة من أفسد النظم نتيجة تسلط النساء و الجواري و الأتراك على شؤون الدولة[6]، و تعتبر الفترة ما بين (247 إلى 256هـ) من أبرز الفترات التي

1/ ضيف الله بن يحي الزهراني، " العجز المالي في الدولة العباسية"، مجلة جامعة أم القرى ، ع2 (1409هـ)، ص 197 و 245 .

2/ المسعودي ، التنبيه و الإشراف ، ص 328 .

3/ البندري بنت عبد العزيز الخضر، نكبات الوزراء في العراق و آثارها على الأوضاع العامة إبان العصر العباسي الثاني رسالة مقدمة للحصول على الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، إشراف: علي بن صالح المحيميد، قسم التاريخ، كلية اللغة العربية و الدراسات الاجتماعية، جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية، 2015، ص 170 .

4/ مسكويه، المصدر السابق ، ج5 ، ص 227 .

5/ السيوطي ، المصدر السابق ، ص 382 .

6/ اليوزبكي، توفيق سلطان، الوزارة نشأتها و تطورها في الدولة العباسية، مطبعة الإرشاد، بغداد ، 1970 ، ص 157 .

دمرت و خربت فيها الإدارة المالية رغم المحاولات التي بذلها الخليفة المهتدي إلا أنه لم يفلح.

بالإضافة إلى عدم استقراء الحكم و سيطرة العسكريين من الأتراك الذين كانوا يفتقرون إلى الكثير من الخبرة الإدارية[1]، و في عهد الخليفة المعتز تنازع المغاربة و الأتراك على إدارة بيت المال فمرة بيد المغاربة، و أخرى بيد الأتراك[2].

و هذا ما فيه إرباك للنواحي المالية، فلما استلم المعتضد زمام الخلافة و جد أمورها مرتبكة نظرا لما لاقاه الخليفة المعتمد من الفتن و الحروب الداخلية كثورة الزنج " فلما قام المعتضد و استوزر عبيد الله بن سليمان[3] قال له: " قد دفعت إلى ملكا مختلا و دينا خرابا، و أريد أن أعرف ارتفاع النواحي"[4] .

و في عهد الخليفة المقتدر حدث ارتباك كبير في الإدارة المالية، فكانت ترد الأموال إلى بيت المال " و تبقى أياما لا تقض"[5].

و قد كان المتولي لديوان بيت المال و لديوان النفقات يتبدل عند تغير الوزير و ذلك لأن طبيعة الأمور المالية كانت تتطلب ثقة متبادلة بين صاحب هذا الديوان و الوزير[6].

---

[1]/ ضيف الله يحي الزهراني ، المرجع السابق ، ص 197 و 245 .

[2]/ الطبري ، المصدر السابق ، ج9 ، ص 329 .

[3]/ عبيد الله بن سليمان بن وهب: الوزير الكبير ، أبو القاسم، وزير المعتضد، كان شهما قويا، و ولد الوزير الكبير القاسم بن عبيد الله، مات سنة ربيع الآخر سنة 288ه. الذهبي، المصدر السابق ، ج13 ، ص 497 .

[4]/ ارتفاع النواحي: يعني ذلك مبلغ إيراداتها الأزدي، المصدر السابق ،ج2، ص 374 .

[5]/ الصابئ، أبو الحسن، هلال بن المحسن بن إبراهيم الحراني، الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تح: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة الأعيان، ص 284 .

[6]/ حسام الدين السامرائي، المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية، ط2، دار الفكر العربي ، 1403 ، ص 250 .

هذا بالإضافة إلى المقدرة الإدارية التي تختلف وجهات النظر في تقديرها .

و كذا مشاركة الجيش في تسيير دفة الأمور المالية و هؤلاء بدورهم تنقصهم الخبرة في هذا المجال، فعندما قدم أبو الفتح الفضل من الشام[1].

الى بغداد أشار مؤنس بتقليده ديوان السواد و استجاب الوزير لهذا الطلب مكرها و قد انقطعت بتقليده موارد كانت تصل إلى بيت المال، و لم يجرأ أحد على الاعتراض لهذه الخسارة رغم الضرر الذي سببته لمالية الدولة[2].

1- فساد الوزراء و سوء أدائهم :

لقد تعرض جهاز الوزارة خلال هذه الفترة لفوضى أطاحت بنظام الوزارة و أذهبت شروطها، و من بينها الأمانة و التي تعتبر من أعظم الشروط حيث قال الماوردي في ذلك: " و الأمانة أن يفي بما عليه و يستوفي ماله، و لا يختزنه لنفسه، و لا يقبل الهدايا التي تعطى له بحكم منصبه، و إلا كانت رشوة مقنعة، و يجب أن يكون قدوة صالحة في سلوك العاملين"[3]، و قد أفتى الماوردي بأنه إذا أخل الوزير بهذا الشرط وجب عزله:" إذا تحققت خيانته أو عجزه أو قصوره"[4].

و كذلك من بين شروط الوزارة الكفاية، قال الثعالبي " و هي العلم بالأعمال الديوانية و التصرفات، و وجوه تثمير الأموال و الاستخراجات فيضع الأمور في مواضعها و

---

[1]/ مسكويه، المصدر السابق ، ج5 ، ص 207 .

[2]/المصدر نفسه ، ج5 ، ص 207 .

[3]/ الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، قوانين الوزارة و سياسة الملك ، تح: رضوان السيد ، دار الطليعة بيروت، 1979 ، ص 190 .

[4]/ المصدر نفسه ، ص 196 .

يرتب الأعمال على قواعدها[1].

فللوزير دورا كبيرا في الإدارة و في تثبيت أركان الدولة، و قد عملت الدولة في هذه الفترة على تعيين وزراء ممن ليس لهم اهتمام بالأمور المالية و الإدارية[2]، حيث تمتع الوزراء بقلة الخبرة الإدارية و قصور كفايته و عجزه عن إدارة أمور البلاد، كما ضاعت هيبة الوزير و تدنت قيمته شيئا فشيئا[3].

و بدأ الفساد الإداري منذ زمن الخليفة المنتصر (247 هـ- 248هـ)، حيث عين العديد من الوزراء الضعفاء ممن لا خبرة لهم في الأمور الإدارية كالوزير أحمد بن الخصيب[4] الذي عرف عنه التقصير في عمله و في شؤون الإدارة، و كان مطعونا في عقله لدرجة أنه عندما رفع إليه الشكوى من أحد المظلومين و هو راكب فرسه فضربه برجله[5].

و قد قال عن نفسه " مثلي كمثل الناقة التي تتزين للنحر "[6]. فسقطت هيبة الوزارة بسبب سوء اختيار هذا الوزير الذي ليس له خبرة بأمور الدولة[7].

---

[1]/ الثعالبي، أبي منصور عبد الملك بن محمد إسماعيل، تحفة الوزراء تح : حبيب علي الراوي، ابتسام مرهون الصفار الدار العربية للموسوعات، بيروت، ص 61 .

[2]/ فهد مطر المطيري، التاريخ الاقتصادي للدولة العباسية في العصر العباسي الثاني 247- 334هـ ، مذكرة الحصول على دكتوراه في الاقتصاد المصارف الإسلامية، إشراف: زكريا سلامة عيسى الشنطاوي ، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، الأردن، 2015 ، ص 361 .

[3]/ البندري ، المرجع السابق ، ص 191 .

[4]/ أحمد بن الخصيب: ابن عبد الحميد الجرجائي، الوزير الكبير ، أبو العباس ابن أمير مصر ، استوزره المنتصر، ثم المستعين، و ارتفع شأنه، ثم نكب و نفاه المستعين إلى الغرب سنة 248 . الذهبي، المصدر السابق ، ج12 ، ص 553 .

[5]/ ابن الطقطقى ، المصدر السابق ، ص 239 .

[6]/ الثعالبي ، المصدر السابق ، ص 122 .

[7]/ اليوزبكي ، المرجع السابق ، ص 143 .

و زاد اضطراب الدولة في عهد المستعين 248هـ – 251هـ بشكل كبير، ففي خلافته القصيرة التي لا تزيد عن خمس سنوات تولى الوزارة فيها ستة وزراء[1]، كان أفضلهم أبو صالح عبد الله بن يزداد، الذي أغضب الأتراك بحسن إدارته، فقد سار هذا الوزير على سياسة التقشف بغية توفير الأموال، فقد ألغى الزيادات التي استحدثت في أرزاق الجند، فهدده زعماء الأتراك بالقتل، مما اضطره إلى ترك العاصمة سامراء و الهروب إلى بغداد[2].

كما استوزر الوزير أتامش أحد زعماء الأتراك، الذي استغل ضعف المستعين بالله و علاقته الوثيقة به، فاستبد بالأمور دون الخليفة، و أقطع لنفسه أموالا جليلة، و أسرف في تبذير الأموال[3].

و معه والدة المستعين حيث كانت الأموال الواردة تصل إلى هؤلاء و تغلب على أكثر ما في بيت المال، كما عمد إلى بيوت الأموال و تصرف بها كما شاء[4]، و يبدو أن تصرفاته أغاضت الخليفة و الدليل على ذلك أنه لما استجار به ليخلصه من الجند المحاصرين له في الجوسق، رفض عن تقديم أية مساعدة له فكانت نهايته[5]، حيث يقول اليعقوبي على مقتل أوتامش: " فوقع ذلك بموافقته المستعين و كتب إلى الآفاق بلعنة"[6].

و في عهد الخليفة المعتز (252 هـ – 255 هـ) ازداد ضعف الوزارة و سقوط هيبتها حيث استوزر أبا الفضل جعفر الاسكافي، و لم يكن له علم و لا دراية بأمور

1/ الزهراني ، المرجع السابق ، ص 197 و 245 .

2/ ابن الطقطقي ، المصدر السابق ، ص 242 .

3/ الطبري ، المصدر السابق ، ج9 ، ص 263 .

4/ المطيري ، المرجع السابق، ص 361 .

5/ الطبري ، المصدر السابق ، ج9، ص 264 .

6/ المصدر السابق ، ج2 ، ص 461 .

الوزارة[1]، و لم تنجح محاولة الوزير أحمد بن إسرائيل الأنباري حيث وقفت أطماع الأتراك حائلا دون تنفيذ تنمية الموارد المالية. و المحافظة على الأموال[2].

أما في عهد الخليفة المهتدي (255هـ – 256هـ) فكادت أمور الخلافة و الوزارة تتحسن، بفضل جهود الخليفة، ثم بفعل الوزير سليمان بن وهب[3]. حيث ساد الانسجام و الوفاق بين الخليفة المهتدي و وزرائه فالأوامر التي تصدر من الوزير سليمان بن وهب كانت تصدر بمحضر من الخليفة و ذلك يدل على قوة شخصية الخليفة و تجنب الوزراء من غضب الخليفة و ما ينجم عنه من عزل و مصادرة[4]. و لعل ذلك ما عناه المسعودي عند حديثه عن وزراء المهتدي بقوله:" أنهم سلموا منه من قتل و غيره"[5]. و قد اشتهر الوزير سليمان بن وهب برجاحة عقله و قوة عزيمته، فقد قال : " عزل الولاية أدق من عزل العلاقة"[6].

و في خلافه المعتمد (256هـ- 279هـ) انتعشت الوزارة نسبيا، و ذلك لتقلد منصب الوزارة وزراء أكفاء، كانوا على مستوى جيد من الكفاءة الإدارية أمثال "عبيد الله بن خاقان"[7] إذ كان خبيرا بأحوال الرعايا و الأعمال ضابطا للأموال"[8].

1/ اليوزبكي ، المرجع السابق ، ص 126 .

2/ الثعالبي ، المصدر السابق ، ص 123 .

3/ الزهراني ، المرجع السابق ، ص 197 و 245 .

4/ السامرائي ، المؤسسات الإدارية ، ص 105 .

5/ مروج الذهب ، ج4، ص 148 .

6/ الثعالبي ، المصدر السابق ، ص 122 .

7/ عبيد الله بن يحي الخاقاني كان حسن الخط، و له معرفة بالحساب و الاستيفاء، إلا أنه كان مخلطا و كان مجدودا، و كان كريما حسن الأخلاق، استوزر للمتوكل، ثم المعتمد و جرت له أمور و قد نفاه المستعين إلى برقة، ثم قديم بغداد و استوزر منه ست و خمسين مات سنة 236 ه. الذهبي ، المصدر السابق ، ج13 ، ص 9 .

8/ ابن الطقطقى ، المصدر السابق ، ص 251 .

و نظرا للظروف الداخلية للدولة من حروب وجب اختيار وزراء أكثر صلاحية، إلا أن هذا الأمر لم يتحقق بنسبة كبيرة نظرا لقلة الأموال و طلب الموفق المزيد من فرض الضرائب على التجار، مما كان سببا في عزل الوزير الحسن بن المخلد الجراح[1] حيث امتنع عن تنفيذ رغبة الموفق[2]. فهذه هي حالة الوزارة حيث و إن حصل و تولى رجل ذو كفاءة إدارية يعزل مباشرة بسبب معارضة القادة الأتراك[3].

حيث كان الوزير الحسن بن المخلد يوثق كل ليلة قبل أن ينام في دفتر صغير أصل الأموال و مصادرها[4].

أما الخليفة المعتضد (279هـ-289هـ) فقد اختار الوزراء من ذوي الكفاءة و المقدرة الإدارية، ففي عهد المعتضد و المكتفي نرى أنهما نجحا في " انتشال الوزارة من الفوضى و الاضطراب، و وضعها في المكانة اللائقة بها، و يرجع السبب في ذلك إلى مقدرتهما في اختيار وزرائهما من ذوي المقدرة و الكفاية الإدارية و المالية[5]. منهم الوزير عبيد الله بن سليمان بن وهب، و ابنه القاسم بن عبيد الله[6] الذي قال مقولته المشهورة: " عقل الكاتب في قلمه، و الكلام الحسن مصائد القلوب"[7].

---

[1]/ الحسن بن المخلد الجراح الوزير الأكمل، أبو محمد البغدادي، أحد رجال العصر سؤداد، و شهامة و بلاغة و كتابة ولد سنة 209 و زر للمعتمد، و عمل الوزارة مع كتابة الموفق، و كان آية في حساب الديوان، توفي سنة 271هـ. الذهبي المصدر السابق ، ج13، ص 7 ، 8 .

[2]/ الزهراني، المرجع السابق ، ص 197 و 245 .

[3]/ المطيري ، المرجع السابق ، ص 361 .

[4]/ ابن الطقطقى ، المصدر السابق ، ص 251 .

[5]/ الزهراني ، المرجع السابق ، ص 197 و 245 .

[6]/ القاسم بن عبيد الله بن وهب استوزره المعتضد و مات الأخير و هو وزيره، ثم أقره الخليفة المكتفي على وزرائه الى أن توفي المعتضد. الثعالبي، المصدر السابق، ص 123 – 124 .

[7]/ المصدر نفسه، ص 124 .

و في خلافة المقتدر (295هـ – 320هـ) بلغت الإدارة أسوأ أوضاعها، و خاصة بعد أن تحكم النساء و القادة بأموال الدولة و أمورها و خاصة تحكم قادة الجيش فكان مؤنس الخادم قائد الجيش الدور الأكبر في اختيار الوزير و عزله. و بلغ من تحكمه في ذلك أن أقنع الخليفة بقتل الوزير ابن الفرات، و خاصة بعد أن توترت العلاقة ما بين الجيش و الوزارة[1].

و يصف لنا ابن خلدون عن حالة الفوضى التي عمت جهاز الإدارة فيقول: " إن وزراء المقتدر لم تكن تتوفر فيهم خطتا السيف و القلم و سائر معاني الوزارة و المعاونة"[2].حيث أسرف الخليفة المقتدر في تعيين الوزراء و عزلهم، بحيث بلغ عددهم 12 وزيرا، منهم من وزر لثلاث مرات[3]،و منهم من وزر لفترتين[4].

و قد تولى منصب الوزارة شخصيات ضعيفة ليست لهم دراية بالأمور المالية كما هي الحال في الوزير أبي علي بن محمد بن عبيد الخاقاني، الذي تولى الوزارة سنة 299هـ فقد قال عنه الصابئ: " كان فيه إهمال للأمور و اطراح للأعمال و تلون في الأفعال"[5]حيث لم يكن الخاقاني قديرا في إدارة الدولة، بل كان خبيثا[6]. حيث وجه اهتمامه إلى رعاية الحاشية للحفاظ على منصبه، و لم يقدر الظروف التي تمر بها الدولة[7].

---

[1]/ مسكويه، المصدر السابق ، ج5، ص 73 و 77 .

[2]/ ابن خلدون ، المقدمة ، مطبوعات و منشورات دار الشعب ، القاهرة ، ص 238 .

[3]/ أبو الحسن ابن الفرات: الوزارة الأولى كانت سنة 296هـ و الثانية 302هـ ، و الثالثة سنة 311. الصابئ، المصدر السابق، ص 28 و 39 .

[4]/ علي بن عيسى: الأولى كانت سنة 301هـ ، و الثانية 312هـ ، المصدر نفسه ، ص 313 ، 335 .

[5]/ المصدر نفسه ، ص 158 .

[6]/ الدوري ، الدراسات ، ص 200.

[7]/السامرائي ، المؤسسات الإدارية ، ص 113 .

و ترك تصريف الأعمال و إدارة الدولة لابنه عبد الله الذي كان سكيرا و لم تكن له القدرة على الإدارة[1]، فلم يباشر هذا الاطلاع على ما يرد أو يصدر من الكتب، بل ترك ذلك للكتاب، على أن تعرض عليه و على أبيه خلاصات الأعمال، و حتى هذه الخلاصات لم يكن يطلع عليها أحد منهما و هكذا تكدست الأشغال و توقفت آلة الإدارة[2].

و قد استغل الخاقاني و ابنه مركزهما في الحصول على منافع مادية خاصة، فكانت الوظائف تباع إلى الراغبين فيها دون النظر إلى مقدرتهم و كفايتهم، و حتى الوظائف المشغولة يمكن الحصول عليها إذا تقدم الراغب بكمية إضافية من المال[3].

كما توصل الأشرار إلى كتب الرقاع على يد أم موسى القهرمانة إلى المقتدر بالله، يخطبون الأعمال و يتضمنون الأموال، فخرج الأمر إلى الوزير الخاقاني بتقليدهم الأمر، فانتشر أمره، و شاركه الأشرار في النظر، و استخرجوا الأموال من كل وجه بكل عسف[4].

و قد أدى ذلك إلى ارتباك إداري شديد، و فقد الخليفة ثقته بوزيره، و أحس بالحاجة إلى من يستوزره لتمشية إدارة الدولة[5]. و عزم الخليفة على إعادة ابن الفرات لولا معارضة مؤنس الذي برر ذلك بقوله: " متى أعدته ظن الناس أنك إنما قبضة عليه شرها في ماله، و المصلحة أن تستدعي علي بن عيسى من مكة و تجعله وزيرا فهو الكافي الثقة الصحيح العمل، المتين الدين"[6].

1/ مسكويه، المصدر السابق ، ج5، ص ص 71 ، 73 .

2/ السامرائي ، المؤسسات الإدارية ، ص 114 .

3/ المرجع نفسه ، ص 114 .

4/ مسكويه ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 79 ، 80 .

5/ السامرائي، المؤسسات الإدارية ، ص 115 .

6/ مسكويه، المصدر السابق ، ج5 ، ص 74 و 84 .

استلم علي بن عيسى الوزارة بعد وصوله في 10 محرم سنة 301 ه فوجد الأمور مرتبكة و الخزينة خاوية، فأخذ يشتغل بجد من الفجر حتى صلاة العشاء يوميا[1]و اختار كفوئين من أصحابه[2]، و جابه الوزير مشكلة كثرة التزويرات على الوزير السابق بعد عزله " بخطوط من مساحات و إدارات، فنظر على بن عيسى في تلك الخطوط و أنكرها و أراد إسقاطها، فخاف ذم الناس، و رأى أن ينفذها إلى خاقاني ليميز الصحيح من المزور[3].

فيكون الذم له فلما عرضت عليه قال: " هذه جميعها خطي و أنا أمرت بها"[4]. لقد تمكن علي بن عيسى من تسيير دفة الحكم و من إصلاح الوضع بشكل عام و تصريف أمور الدولة و باستشارة الخليفة[5].

و كذلك الوزير حامد بن العباس[6] فقد " صرف علي بن عيسى عن وزارة السلطان على فضله و عد له و سداده و حزمه بحامد بن العباس على تخلفه و نقصه"[7].

و قد تعرض الوزراء معظمهم للمصادرة و السجن أو القتل، و ذلك بسبب حاجة الخليفة المقتدر للمال، و هناك سبب آخر أدى بالخليفة إلى الإسراف في تولية و عزل

---

[1]/ المسعودي، مروج الذهب ، ج4 ، ص 242 .

[2]/ الدوري ، دراسات ، ص 200 .

[3]/ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج7 ، ص 28 .

[4]/ المصدر نفسه ، ج7 ، ص 28 ، 29 .

[5]/ الزهراني ، المرجع السابق ، ص 197 و 245 .

[6]/ حامد بن العباس: أبو الفضل الخراساني ثم العراقي ، و كان كثير الأموال و الحشم، و عزل المقتدر ابن الفرات بحامد و ظهر منه نقص في قوانين الوزارة، فضموا إليه علي بن عيسى الوزير و له أثر صالح في اهلاك حسين بن الحلاج، توفي في رمضان سنة 311، الذهبي، المصدر السابق ، ج14 ، ص 356 ، 359 .

[7]/ الثعالبي ، المصدر السابق ، ص 54 .

الوزراء هو أن بعض الطامعين بالوزارة كان يتعهد للخليفة بأداء مبلغ كبير من المال مقابل حصوله على منصب الوزارة[1].

مما أدى إلى اضطراب أمور الدولة الإدارية و المالية، و عدم كفاءة الوزراء، و كذا زيادة حدة المنافسة و المساومة على طلب الوزارة فتولى هذا المنصب شخصيات ضعيفة لم تستمر في الوزارة سوى شهرين فقط، مثل الحسين بن القاسم بن عبيد بن سليمان بن وهب[2]، فقد تولى الوزارة في 26 رجب سنة 319هـ، و عزل عنها في 29 رمضان سنة 319هـ[3]، و بعضهم لبضعة أشهر مثل: أبي الفتح الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات[4].

فقد تولى الوزارة في 28 ربيع الثاني سنة 320 هـ، و عزل عنها في 29 شوال سنة 320هـ.

كما أصبح لكل وزير أنصار من القواد و الكتاب و هؤلاء يسمح لهم الحصول على الأموال و المناصب إن هو تولى الوزارة[5].

1/ اليوزبكي ، المرجع السابق ، ص 158 .

2/ الحسين بن القاسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب: كان عظيم الهيبة شديد الإقدام سفكا للدماء، و كان الكبير و الصغير منه على وجل، لا يعرف أحد من أرباب الأموال معه نعمة توفي سنة 291 في خلافة المكتفي، ابن خلكان، المصدر السابق ج 3 ، ص 361 .

3/ اليوزبكي ، المرجع السابق ، ص 143 .

4/ ابي الفتح الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات: و كان كاتبا مجردا، و هو المعروف بابن خنرابة و هي أمه، و كانت جارية رومية، قلده المقتدر الوزارة في سنة 325 هـ و توفي 327 و دفن في داره بالرملة، ابن خلكان، المصدر السابق ، ج3 ، ص 424 ، 425 .

5/ السامرائي ، مؤسسات الإدارية ، ص 243 .

المبحث الثاني : الأزمات المالية و إفلاس الخزينة :

لقد إتسم العصر العباسي الثاني بكثرة الأزمات الإقتصادية و المالية التي أثرت سلبا على الخلافة العباسية بالدرجة الأولى و على سكانها و تعددت أسبابها كالصراعات و الفتن و الحروب و الثورات السياسية و غيرها[1].

إذ نجد أنه من بين الأمور الملفتة للنظر في النصف الأول من القرن الثالث هجري، أن مالية الدولة كانت في تأخر مستمر بفعل إسراف الخلفاء و القادة الأتراك على أنفسهم، و من مظاهر الانحطاط و التعثر في مالية الدولة أن نظام الالتزام أو الضمان أضحى على ما يبدو النظام السائد، و ما زاد الأوضاع المالية تفاقما فصل بيت مال[2] المسلمين عن خزانة الخليفة الخاصة، و منع إشتداد نفوذ الأتراك فقد وضعوا أيديهم على بيت المال في حين انصرف الخلفاء لتنمية موارد خزانتهم الخاصة[3].

حيث نبدأ بالصراع بين المعتز و المستعين سنة 251ه و ما صاحب ذلك من أعمال تخريب للقنوات الزراعية و هدر الأموال، فقد أمر المستعين بحفر خندق كلفته 330 ألف دينار حول بغداد، و كتب إلى عمال الخراج[4]، بكل بلدة أن يكون حملهم الخراج و الأموال إلى بغداد، و لا يحمل شيء منها إلى سامراء و خربت الضياع و في عهد المستعين

1/ أحمد إسماعيل عبد الله الجبوري، "تاريخ الأزمات الاقتصادية الإسلامية الأسباب و المعالجات العصر العباسي نموذجا"، كلية التربية، جامعة الموصل، العراق، ص 1 و 12.

2/بيت المال: هو المؤسسة التي قامت بالإشراف على ما يرد من الأموال و ما يخرج منها في أوجه النفقات المختلفة أو المكان الذي يضم الأموال المتجمعة من الزكاة و المغانم و الخراج لتكون تحت يد الخليفة أو الوالي يضعها فيما أمر الله به أن توضع بما يصلح شؤون الأمة في السلم و الحرب، منير حسن عبد القادر عدوان، مؤسسة بيت المال في صدر الإسلام، مذكرة لنيل شهادة الماجستر في التاريخ، إشراف جمال محمد داود جودة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2007 ، ص 47 .

3/ سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص 176 .

4/ الخراج : هو أن يؤدي العبد إليك خراجه أي غلته، و الرعية تؤدي الخراج إلى الولاة. ياقوت الحموي، المصدر السابق ج1 ص 40 .

بدأ تأثير النساء و الخدم في سياسة و شؤون الدولة، فإن المستعين ترك لأمه و لشاهك الخادم الحبل على الغارب و تحكموا في زمام الأمور[1]. فنهبا مالية الدولة بالاشتراك مع أتامش التركي[2].

و كان المعتز مستضعفا مع الأتراك فعمل على دفع خطرهم فاغتنموا الفرصة و طالبوه بدفع رواتبهم فعجز و أبت أمه مساعدته فثاروا عليه[3].

ففي عهد المعتز سنة 252هـ – 254هـ لم تكن أحوال الخلافة بأحسن أحوالها إذ كثر الاضطراب و تأخرت أموال البلدان، و كثرت في عهده شغب الجند[4].

و كان المعتز مستضعفا مع الأتراك و يخافهم، فإتفق أن جماعة من كبارهم أتوه و قالوا يا أمير المؤمنين أعطنا أرزاقنا لقتل صالح بن وصيف، فطلب من أمه قبيحة مالا لينفقه عليهم، لكنها أبت إعطائه وشحت نفسها، و كما ذكرنا سالفا لم يكن بقي في بيت المال شيء، فاجتمع الأتراك على خلعه[5] و هاجموه و هو في داره و ضربوه بالدبابيس و خرقوا قميصه و أقاموه في الشمس[6].

مقابل هذا وجد عند أمه قبيحة مجموعة من المجوهرات النفيسة و الثمينة، مكوك زمرد، لؤلؤ حب كبار، كيلجة ياقوت أحمر يعرف بالجبلي و كان قد إشتراه الرشيد بأربعين

1/ ابن كثير ، المصدر السابق ، ج11 ، ص 3 .

2/ أتامش: في منتصف ربيع الآخر وقعت تلك الفتنة بين الأتراك و ذلك أن المستعين قد فوض أمر الخلافة و التصرف في أموال بين المال إلى ثلاثة شاهك و أم الخليفة و أتامش التركي، الذي كان بمنزلة الوزير و في حجره العباس بن المستعين يربيه و يعلمه الفروسية، المصدر نفسه، ج11، ص 3 .

3/ أحمد علبي ، المرجع السابق ، ص 136 .

4/ اليعقوبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 468 .

5/ السيوطي ، المصدر السابق ، ص 286 .

6/ ابن الطقطقى ، المصدر السابق ، ص 243 .

ألف دينار و نقش عليه اسمه أحمد[1]فقومت الأسفاط بألفي دينارا فلما رأى ابن وصيف ذلك قال: قبحها الله، عرضت ابنها للخطر مقابل خمسين ألف دينار[2].

و أثناء خلافة المهتدي بالله 254هـ – 256هـ قيل عنه أنه ليس كباقي الخلفاء في تسيير شؤون الدولة و الخلافة، فقد اتبع سياسة التقشف و تقليل النفقات حيث قلل من الفراش و المطعم و المشرب و أمر بإخراج آنية الذهب و الفضة من الخزائن فكسرت و ضربت دنانير و دراهم، فالخلفاء قبله و الذين سبقوه في الخلافة كنوا ينفقون على موائدهم في كل يوم عشرة آلاف درهم بينما هو أزال ذلك و جعل لمائدته و سائر مؤنه في كل يوم نحو ما يقارب مائة درهم، حيث كان يواصل الصيام فهذه السياسة و الإستراتيجية التي اتبعها أدت بالخلافة العباسية إلى أزمة مالية خانقة مستنزفة موارد الدولة[3].

و في سنة 255هـ أدت حركة الزنج أيضا بالخلافة العباسية إلى نشوء أزمة مالية عادت بالسلب على سكانها و مدنها، فهذه الحركة التي دامت رحالها مدة خمسة عشر عاما تسببت في إفلاس الخزينة و فراغها، مما اضطر بالأمير الموفق بالله الى استقراض الأموال من التجار و الكتاب و العمال، حيث فكر بجدية في فرض ضرائب إضافية على التجار[4]. و واجه الخليفة المعتضد بالله سنة 279هـ-289هـ ضائقة مالية صعبة فقام بالعديد من الإجراءات المختلفة، حيث قام ببناء المطامير[5]... الخ، فقد قال ابن الجوزي في ذلك، فلما

---

[1]/ المسعودي ، مروج الذهب، ج4 ، ص 136 .

[2]/ السيوطي ، المصدر السابق ، ص 286

[3]/ المسعودي ، مروج الذهب ، ج4 ، ص 153 .

[4]/ أحمد إسماعيل عبد الله الجبوري، المرجع السابق ، ص 1 و 12

[5]/ مطامير : جمع مطمورة، و هي حفرة أو مكان تحت الأرض و قد هيئ خفيا يطمر فيه الطعام أو المال، ياقوت الحموي المصدر السابق ، ج5 ، ص 148 .

ولي المعتضد لم يكن في بيت المال إلا قراريط و الحضرة مضطربة و الأعراب عابثون، فأصلح الأمور و حمى البيضة و بالغ في العمارة و أنصف في المعاملة و اقتصد في النفقة[1]فمات و في بيت المال بضعة عشر ألف دينار[2].

فمعاناة الخلافة العباسية أيام عهد المقتدر بالله لم تكن وليدة ظروف راهنة بل هو راجع إلى استبداد الأتراك و استشارهم الأموال فقد وجد في بيت مال أم المستعين مليون دينار و في بيت مال ابنه العباس 600.000 دينار[3].

و سار المعتضد أيضا على سياسة تقليل النفقات عن طريق القروض، فالمعتضد أراد تجهيز جيش فعجز عن ذلك بيت مال العامة فأخبر بمجوسي له مال العظيم أن يقرضه فقبل و كان يعلم أن ماله بين أيدي أمينة أمير المؤمنين، و لما سمعه ما قال إنصرف المعتضد و قال له أغنانا الله عن القرض منك و لم يستقرض منه شيئا[4].

فالواقع أن سد حاجة خزينة الدولة المركزية كان يتطلب تدابير أشد فعالية و من هنا عمد الوزير عبيد الله بن سليمان إلى إطلاق سراح ابني الفرات أبو العباس أحمد و أبو الحسن علي من السجن و هما المعروفان بالخبرة و العمل و الحساب[5].

فبدأ ابنا الفرات إتصالاتهما سريعا مع رجل من طي يكنى بأحمد بن محمد و عقدا له الضمان على المناطق المجاورة لبغداد مقابل دفع 7000 دينار يوميا و 6000 دينار شهريا و هذه نفقات دار الخلافة على وجه الإقتصاد[6].

---

[1]/ المنتظم ، ج12 ، ص 324 .

[2]/ ابن الطقطقي ، المصدر السابق ، ص 256 .

[3]/ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج12 ، ص 43 .

[4]/ المصدر نفسه ، ج12، ص 324 .

[5]/ الصابي، المصدر السابق ، ص 12 – 13 .

[6]/ المصدر نفسه ، ص 13 – 14.

و شهد عصر المقتدر بالله 295ه تدهورا خطيرا في الأوضاع المالية، فعندما كان طفل صغير كان في بيت المال ما يقارب أربعة أو خمسة عشر مليون لكنه أسرف و بذر رغم جهودي وزيره علي بن عيسى في ذلك[1].

و من مظاهر إسرافه و تبذيره نجد ما قام به عندما قدم إليه رسل ملك الروم سنة 305ه، مما أدى إلى إنبهارهم و دهشتهم، كذلك ما صرفه على ختان أولاده الخمسة و معهم طائفة من الأيتام نحو ستمائة ألف دينار[2].

و كان لفترة الفوضى السياسية أثرها السيئ على ميزانية الدولة، و خاصة عند خلع الخلفاء و الوزراء و رجال الدولة الكبار، و مبايعة خليفة جديد، فالجند و ذخائرهم من الجواهر و الفضة و الأواني الفضية و الذهبية و التحف و الذخائر الثمينة و التي كانت بمثابة أموال إحتياطية يهرع الخلفاء إليها عند الحاجة، و لعل أكبر عملية نهب وقعت سنة 317ه. لما خلع الخليفة المقتدر و حل مكانه الخليفة القاهر بالله، فقد هاجم الجند دار الخلافة مستغلين حوادث الشغب فسرقوا كل ثمين فيها[3].

و نهب المقتدر لأمه ستمائة ألف دينار، و كانت له الكثير من الجواهر النفيسة لكنه كان معروفا عنه حبه للبذخ و التبذير و الإسراف، فكل ما ملكه أسرفه و أتلفه في أيسر مدة، بالإضافة إلى بذله الأموال في الجند[4].

---

[1]/ ناريمان صادق عبد القادر الألشي، الخلافة العباسية و عصر أمرة الأمراء 324هـ - 334 هـ، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر، إشراف محمد حمدي المناوي، تخصص التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية ، جامعة الملك عبد العزيز ، مكة المكرمة ، 1979 ، ص ص 48 و 55 .

[2]/ ابن الطقطقى ، المصدر السابق ، ص 260 .

[3]/ أحمد إسماعيل عبد الله الجبوري ، المرجع السابق ، ص 1 و 12 .

[4]/ السيوطي ، المصدر السابق ، ص 303 .

فدولة المقتدر كانت دولة ذات تخليط كبير لصغر سنه و لسيطرة أمه و نسائه و خدمه عليه، فدولته كانت تدور أمورها و شؤونها على تدبير النساء و الخدم، أما هو فمشغول بملذاته و شهواته، فخربت الدنيا في أيامه و خلت بيوت الأموال من المال[1].

و عندما تولى الوزارة أبو الحسن علي بن الحسن بن الفرات سنة 296هـ، لجأ إلى سياسة إستنزاف الأموال، مما أدى إلى حدوث أزمة مالية، و قد حاول الوزير عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن يحي بن خاقان بسبب إضطراب خزينة الدولة إستخراج الأموال من الوزراء الذين كانوا قبله، ممن عملوا في منصب الوزارة لحل الأزمات المالية، و لكن محاولته باءت بالفشل[2].

و بعد فتنة المعتز و خلع الوزير علي بن عيسى الذي كان متحكما في زمام الأمور و جاء بعده ابن الفرات فنهب الخزائن و الأموال و فعل ما شاء و أراد، و استحوذ على الكثير من الأموال. و أخذ سبعمائة ألف دينار عندما كانوا يقيمون وجوه مال البيعة[3].

كما قام القواد بشغب على الوزير ابن خاقان مطالبين بدفع رواتبهم التي لم يستطيع

1/ ابن الطقطقى ، المصدر السابق ، ص 262 .

2/ البندري ، المرجع السابق ، ص 118 .

3/ الصابي ،المصدر السابق ، ص 133 .

توفيرها لهم، حتى أدى إلى تآمر القواد و نساء الخليفة سنة 312 هـ[1].

و كان وجود مؤنس و الأزمة المالية التي عاشتها الدولة، و لعل بذخ المقتدر من الأسباب الأساسية لها، العاملين الرئيسيين في عودة الجيش إلى التدخل في سياسة الدولة العباسية، و أما الجيش فقد بدأ اعتبارا من بداية القرن 4هـ بالمطالبة بالرواتب المتأخرة أو بأرزاق إضافية، ففي سنة 303هـ مثل شغب الغلمان و الرجالة على الوزير مطالبين باستحقاقاتهم، فأحرقوا دار الوزير و ذبحوا الدواب في اصطبلة، و في سنة 316هـ أيضا طالب الجند من جديد بزيادة أرزاقهم مكافأة لهم لصدهم تقدم القرامطة في السواد، و اضطر المقتدر إلى الإستجابة لهم فوافق على زيادة دينار لكل جندي ما أدى إلى فشل خطة الوزير علي بن عيسى المالية المعتمدة على الإقتصاد في النفقات فكل هذه الأحداث أفسحت المجال مجددا لتمرد الجيش و تدخله في إدارة الدولة و تحكمه في الوزارة[2].

فتسلط مؤنس هذا و تجبره الشديد و بإعتماده على قوة الجيش جعله يتحكم في زمام الأمور كما يحب و يرضى، فهذه الفوضى تحت تصرف و زعامة الأتراك، عملت على عدم انتظام الموارد المالية لبيت المال و فراغ الخزينة[3].

ناهيك عن تفشي ظاهرة الرشوة في عهد المقتدر، حتى صارت الوزارة تؤخذ بالرشوة بعدما تدخل في أمر تعيين الوزراء الخدم و الحاشية[4].

1/ ابن مسكويه ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 127 .

2/ حسام الدين السامرائي ، المؤسسات الإدارية ، ص 58 ، 60 .

3/ المرجع نفسه ، ص 60

4/ إبراهيم أيوب ، المرجع السابق ، ص 122 .

و قد أحدثت ثورة القرامطة أيضا أزمات مالية داخل الخلافة العباسية و يعتبر أول صدام عنيف حدث بين الخلافة العباسية و القرامطة كان في أيام المعتضد بالله 279هـ – 289هـ، إذ خرج زكرويه بن مهرويه[1] داعية القرامطة فأرسل إليهم الجيوش و قتل منها ما لا يحصى، و كان للقرامطة الأثر الكبير على مالية الدولة العباسية، سواء فيما اكتسحه القرامطة من الأموال بالقوة و القهر، أو فيما أنفقته الخلافة في كسرهم و دحرهم[2].

و توتر النزاع و اشتدت شوكة القرامطة مما اضطر بالخلافة إلى اتخاذ إجراءات مالية لصد هذه الحركة و دحرها و القضاء عليها. ففي سنة 314هـ بلغت نفقات حرب القرامطة ثلاثة ملايين دينار، و ذلك عند تهديدهم بغداد العاصمة، و سنة 315هـ، بلغ إجمالي ما أنفقه المقتدر على القرامطة ما يزيد عن 1.870.000 دينار و هذا أنفق على حربهم في واسط و الكوفة، فقد أحدثت ثورات القرامطة هاته أزمات مالية خانقة أدت إلى الارتفاع في الأسعار و شيوع حالات الجوع و الفوضى[3]، و في سنة 302 ظهر بالجامدة[4] رجل ادعى النسب العلوي فقتل العامل بها و نهبها و أخذ من دار الخراج أموالا كثيرة، كل هذه الأحداث كانت سببا في عجز الخلافة العباسية المالي[5] و انتشرت الفتن عهده[6]. و وصف ميور الدولة العباسية في عهد المقتدر فقال: " إن عهد هذا الخليفة تعس قد وهى

1/ زكرويه بن مهرويه: هو يحي بن زكرويه بن مهرويه أبو القاسم القرمطي المعروف بالشيخ في جحافله، أراد الإقامة في سامراء لكنه ثني رأيه فعاد إلى بغداد و قتل على باب دمشق، ابن كثير، المصدر السابق، ج11، ص 96 .

2/ ضيف الله بن يحي الزهراني، المرجع السابق ، ص 197 و 245.

3/ المرجع نفسه ، ص 197 و 245 .

4/ الجامدة : بكسر الميم: قرية كبيرة جامعة من أعمال واسط بينها و بين البصرة، الحموي، المصدر السابق ، ج2، ص 95

5/ الذهبي ، ج13 ، ص 28 .

6/ المصدر نفسه ، ج13 ، ص 29 .

بالدولة إلى الحضيض، و تعتبر واردات بيت المال من الإنتاج الزراعي هي العمود الفقري و الركيزة الأساسية للخلافة العباسية، فكان لا بد للدولة بالإهتمام بالأراضي الزراعية و توفير المياه عن طريق تعمير و إصلاح السدود و إقامة مشاريع جديدة، و هذا لا بد له من ميزانية مالية كبيرة لإنفاقها على النشاط الزراعي و الاقتصادي، لكن هذا لم يحصل فقد تدهورت و ساءت أحوال الزراعة و المزارعين نتيجة لفوضى الجند و الفتن الداخلية بين المعتز و المستعين .

حيث وجهت الدولة جميع إمكانياتها المادية و أنفقت كافة أموالها الموجودة بخزينة الخلافة لصد هذه الثورات و دحرها، و الذي زاد الطين بلة هو نظام الجباية[1]، الذي أضر بأمور المزارعين فكان على الوزير أن يضمن مبلغا من المال لخزينة الدولة دون النظر إلى كيفية الحصول على هذا المال[2].

و كان وزراء الخلافة العباسية يعيشون في نعيم كبير و ذلك لما كانوا يأخذونه من رواتب ضخمة و اقطاعات و ما كانوا يختلسونه لأنفسهم من أموال الدولة[3]، و قد توالى النهب لدار الخلافة، فقد نهبها جند البريدي سنة 330هـ و هرب الخليفة المتقي بالله و ابن رائق إلى الموصل[4]، و سنة 334هـ. ذهبت دار الخلافة بعد خلع الخليفة المستكفي و دخول معز الدولة البويهي بغداد في نفس السنة[5]، و كانت الأزمات المالية المستعصية التي واجهت الخلفاء العباسيين سببا في حدوث نكبات سريعة للوزراء أيام الخليفة الراضي بالله

1/ الجباية : بكسر الجيم و بعد الألف ياء و هاء، من جبيت الشيء إذا جمعته من جهات متفرقة و يوم الجباية من أيام العرب، الحموي، المصدر السابق، ج2، ص 100 .

2/ ضيف الله بن يحي الزهراني ، المرجع السابق ، ص 197 و 245.

3/ شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص 56 .

4/ ابن مسكويه، المصدر السابق ، ج2 ، ص 25 .

5/ الذهبي ، دول الإسلام ، تح: حسن اسماعيل مروى ، دار صادر ، بيروت ، 1999 ، ج1 ، ص 306 .

سنة 322هـ – 329هـ حيث جرى تكليف محمد علي بن مقلةفي منصب الوزارة و لم يستمر في منصبه حتى واجه ضائقة مالية[1].

و دليل تردي هذه الأوضاع لما أعاد المقتدر الوزير أبا علي بن مقلة إلى الوزارة و كتب إلى البلاد ما تجدد له، حيث قام بإطلاق الأرزاق للجند الذين طالبوه بها سابقا و زادهم أيضا، و بيعه كل ما في الخزائن من أمتعة وجواهر بالإضافة إلى بيع ممتلكات الناس فبيع ذلك بأرخص و أبخس الأثمان ليتم أعطيات الجند[2].

فرغم المحاولات التي قام بها الوزيرين مقلة لحل الأزمات المالية[3] هاته إلا أن على تسيير أمور الوزارة المالية على المصادرات و الضمانات و المساعدات المالية التي تقدم بها أصحاب الولايات كأبي عبيد الله البريدي من الأهواز حيث أرسل اليه بثلاثمائة ألف دينار، فهذا دليل واضح و إعلانا عاما على وصول الخلافة العباسية إلى الحضيض و مستوى مترد من الناحية المالية الذي أثر بدوره هذا على جميع نواحي الحياة العامة للدولة، و حتى اعتماد هذه الأخيرة على المساعدات الخارجية غير المضمونة و تعاون ابن مقلة مع الأتراك و خاصة قائدهم مؤنس الخادم لإيجاد حل للأزمات المالية، فأدى هذا إلى اتساع نفوذ الأتراك في الإدارة و سيطرتهم على كافة أموالها. فنكبه الخليفة المقتدر لتفريطه بالأموال سنة 317 هـ[4] .

و في مفتتح سنة 318هـ شغبت المصافية و هي إحدى فرق الجيش و اشتدت شوكتهم فضربوا دار الوزير و انتهبوا كل ما فيها من الأموال و أفرغوا خزائنها و قد أصبح هيجان الجند و مشاغبتهم و إحداثهم للفتن أمرا مألوفا بعد ذلك، فاستمرت الاضطرابات حتى

1/ البندري بنت عبد العزيز الخضري، المرجع السابق ، ص 120 .

2/ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 741 .

3/ أزمة مالية : هي اضطراب فجائي يطرأ على التوازن الاقتصادي في قطر أو عدة أقطار و تنشأ عن الاضطراب الناشئ عن اختلال التوازن بين الإنتاج و الاستهلاك. عبد الله الجبوري ، المرجع السابق ، ص 1 و 12 .

4/ البندري ، المرجع السابق، ص 119 .

بلغت ذروتها عام 319هـ. و إذ سيطر مؤنس الخادم قائد الجيش نهائيا على الأمور و تحكم في الإدارة و اختيار الوزراء[1].

فنجد أن وجود مؤنس و الأزمة المالية هما العاملين الرئيسيين في تدخل الجيش في السياسة، لكن الأمور ازدادت سوءا و حرجا أثناء وزارة سليمان بن الحسن و أصبح الهياج و الفتنة أمرين لا بد منهما، فالفرسان الذين قضوا على المصافية هجموا بعد شهر على دار الوزير و استمرت الاضطرابات بسبب الرواتب حتى بلغت القمة في 319هـ لكن بعدها لم يمض شهران حتى ذاق الخليفة و وزيره طعم الطمأنينة حتى ثار الفرسان 319هـ و تعرضت بغداد لمدة أسبوعين لأنواع السرقة و النهب[2].

و في سنة 318هـ حاول الوزير سليمان بن الحسن بن مخلد حل الأزمة المالية فصادر محمد بن علي بن مقلة بمائتي ألف دينار، لكنه واجه كثيرا من المشاكل المالية.

و اتسمت أيام الوزير أبا القاسم عبيد الله بن محمد الكلوذاني جد معدودة و قصيرة فكثرت المصادرات في أيامه، و شغب الجند عليه و شتموه و رجموه و هو في السفينة ففرغت الخزينة في عهده و نهبت الأموال، فحلف أنه لا يدخل بعد ذلك في الوزارة و انقطع بداره و أغلق بابه، إذ دامت وزارته شهرين[3].

---

[1]/ السامرائي، المؤسسات الإدارية ، ص 160 .

[2]/ الدوري ، دراسات في العصور العباسية، ص 207 و 213 و 214 .

[3]/ ابن الطقطقي ، المصدر السابق ، ص 273 .

و كانت الأزمات المالية المستعصية التي واجهت الخلفاء العباسيين سببا في حدوث نكبات سريعة للوزراء أيام الخليفة الراضي بالله سنة 322هـ – 329هـ. و مما زاد في اضطرابات الوضع المالي و تأزمه هو سبب احتجاز ابن رائق الأموال الواردة من واسط و البصرة انتقاما من ابن مقلة، فتأخر هذا الأخير في دفع أرزاق الجند، فثاروا عليه و معهم الغلمان و الأتراك فنكب سنة 322هـ[1] .

إضافة إلى جملة من الضرائب التي اتخذها الوزراء و الخلفاء تجاه سكانهم كفرض أبو الحسن البريدي ضريبة على الزيت سنة 330هـ، و فرض أيضا ضريبة باهضة جدا بلغت سبعين درهما على كر الحنطة، و ضريبة مال الجهبذة في أواخر القرن الثالث هجري جديدة إذ وصفها علي بن عيسى بأنها بلاء على الناس، و غيرها من الضرائب فكلها تؤثر على إقتصاد الدولة و تعثر ميزانيتها[2].

و لا ننسى أيضا انفصال بعض الولايات من الخلافة كان سببا في حدوث أزمة مادية و إفلاس الخزينة للدولة العباسية، فمنذ سنة 254هـ. حدثت بعض الإنقسامات في جسم الدولة العباسية، كقيام الدولة الصفارية التي أعلنت التمرد و العصيان أثناء خلافة المستعين بالله و قيام الدولة السامانية 288هـ فهذا الإنفصال أدى إلى زعزعة ميزانيتها المالية، فقد نجم عن ذلك انفصال و انقسام و نقص واضح في الموارد المالية المرسلة إلى الخزينة المركزية[3].

---

[1]/ البندري بنت عبد العزيز الخضر ، المرجع السابق ، ص 120 .

[2]/ الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص 227 – 228 .

[3]/ ضيف الله بن يحي الزهراني ، المرجع السابق ، ص 197 و 245 .

فخلال الفتنة التي وقعت أيام المعز و المستعين أدت إلى اضطراب الأقاليم في عملية إرسال الخراج فكل خليفة طلب أن ترسل الموارد المالية إليه، و لكن الأقاليم التابعة لدار الخلافة امتنعت عن إرسال أي مبلغ خلال الفتنة، و لم تصل الموارد المالية أيضا إلى الدولة الطولونية بانتظام مما أدى إلى توتر العلاقات بين كل من الموفق و ابن طولون. فقد طلب الموفق أموال الخراج و أرسل ابن طولون[1] مبلغ مليون و مائتي ألف دينار و لم يرض الموفق لقلتها[2].

و كان من أهم الأسباب في تدهور الخلافة العباسية و تردي أوضاعها الإقتصادية أن كثرة الخلفاء انغمست في اللهو و الترف و الإقبال على كل متاع الدنيا و ملذاتها من خلال بناء قصور باذخة و معيشة كفلت لها كل وسائل النعيم و الترف، و أولهم المتوكل[3] حين قدم دمشق فأعجبته و بني له القصر بداريا و عزم على سكناها[4] و قصورا أيضا في سامراء ينفق عليها أمولا طائلة منها الشاه و العروس و البرج حيث أنفق على القصر الأخير مبلغ مليونا و سبعمائة ألف دينار و بنى سنة 246هـ. بالماحوزة قصورا عدة[5]، و كان صاحب لهو و ترف إذ توفي و هو داخل مجلس لهو[6] و أنفق على الهاروني و الجوسق الجعفري أكثر من مئة ألف ألف دينار و يقال أنه كان له أربعة آلاف سرية[7].

---

[1]/ أحمد طولون : هو ابن أحمد بن طولون التركي خمارويه، صاحب مصر و الشام ولي بعد أبيه وله عشرون سنة، كان بطل شجاعا جوادا، الذهبي، سير أعلام، ج13 ، ص 446 .

[2]/ ضيف الله بن يحي الزهراني ، المرجع السابق ، ص 197 و 145 .

[3]/ شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص 19 .

[4]/ السيوطي ، المصدر السابق ، ص 276 .

[5]/ شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص 19 .

[6]/ الذهبي ، دور الإسلام ، ج1 ، ص 218 .

[7]/ المسعودي ، مروج الذهب ، ج4 ، ص 195 .

أما عهد المهتدي فقد حاول قدر الإمكان الإصلاح المالي فقدر لنفسه مصروفا يوميا بلغ مائة درهم، و قدرت نفقات الخليفة المعتضد بسبعة آلاف دينار يوميا و هي نفقات أغلب الأجهزة الإدارية. بينما المقتدر بالله فكان يخصص له كل يوم 1000 دينار [1] و حقيقة الأمر أن أوضاع الخلافة العباسية خاصة في النصف الثاني من حكم المقتدر أثرت مجرياتها على العاصمة كما أن اضطراب الأحداث في العراق و الأزمة المالية و شغب الجند كلها أدت إلى عجز الخلافة عن مواجهة التطورات الخارجية خاصة في الأقاليم الشرقية[2]. فعندما توفي المكتفي بالله كان في بيت مال الخاصة 14000.000 دينار و في بيت مال العامة 600.000 دينار ونيف إذ بلغ مقدار العجز المالي في عهد هذا الخليفة (2.089.894) دينار و كانت قصوره مؤثثة و مزينة بترف مبالغ فيه و غيره من الخلفاء[3].

و ليس الخلفاء فقط الذي كان لهم نصيبا في الإستحواذ و السيطرة و نهب خزائن الدولة العباسية، فالوزراء كذلك مثلهم مثل الولاة و الكتاب كانوا يختلسون أموال الدولة و الأمة[4]، و ناهيك عن تفشي ظاهرة الرشوة في عهد المقتدر حتى صارت الوزارة تؤخذ بالرشوة بعدما تدخل في أمر تعيين الوزراء الخدم و الحاشية[5].

1/ ضيف الله بن يحي الزهراني ، المرجع السابق ، ص 197 و 245 .

2/ منى لطفي ذياب ذياب، خلافة المقتدر بالله 295 ه – 320هـ دراسة في النواحي السياسية و الإدارية، مذكرة لنيل شهادة الماجستر، إشراف عبد العزيز الدوري، تخصص تاريخ، كلية الدراسات العليا ، الجامعة الأردنية ، 2003 ، ص 127 .

3/ ضيف الله بن يحي الزهراني ، المرجع السابق ، ص 197 و 245 .

4/ شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص 20 .

5/ إبراهيم أيوب ، المرجع السابق ، ص 122 .

المبحث الثالث: الكوارث الطبيعية و الأوبئة:

1/ الكوارث الطبيعية:

لقد ظهرت في العصر العباسي الثاني بعض الأزمات و الكوارث الطبيعية، مما كان لها الأثر الكبير على الحياة الاقتصادية و خاصة في الجانب الزراعي الذي حدثت فيه مشاكل و أزمات اقتصادية ضارة أثرت على باقي القطاعات الاقتصادية الأخرى كالصناعة و التجارة، و ذلك لارتباطها الوثيق بقطاع الزراعة[1].

أولا : الكوارث المتعلقة بالعامل المناخي :

و من الكوارث و الأزمات الطبيعية التي حدثت في العصر العباسي الثاني انحباس الأمطار، و جدب الأرض، و شدة الحر و القحط و الجفاف، أو اشتداد البرد و انخفاض الحرارة و الانجماد و تراكم الثلوج، أو كثرة الرياح الشديدة العاتية المحرقة للزرع و تساقط الأمطار الغزيرة المضرة[2].

و من الآفات الطبيعية التي وقعت في عهد المتوكل سنة 232ه أن أصاب الحجاج في العود عطش عظيم فبلغت الشربة عدة دنانير، و مات منهم خلق كثير[3] و في نفس السنة في عهد خلافة المتوكل من 232 ه جاء مطر عظيم لم يسمع بمثله حيث غرق كثير من الموصل و هلك فيها خلق كثير و دخل الماء الكثير من الأسواق .

و في سنة 234ه، كما هبت ريح بالعراق شديدة السموم، و لم يعهد مثلها أحرقت زرع الكوفة، و البصرة و بغداد و قتلت المسافرين و دامت خمسين يوما

---

[1]/ المطيري ، المرجع السابق ، ص 378 .

[2]/ المرجع نفسه ، ص 378 .

[3]/ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج6، ص 94 ، 95 .

و اتصلت بهمذان[1]، و أحرقت الزرع و المواشي[2]، و انقطعت المواد الغذائية عن الأسواق في بغداد و غيرها، فانتشرت المجاعة و هلك كثير من الناس[3].

و في سنة 241 مطر الناس بسامرا مطرا شديدا في آب، و فيها وقع الصدام فنفقت الدواب و البقر[4]،و فيها خرجت ريح من بلاد الترك فقتلت خلقا كثيرا و كان يصيبهم بردها فيزكمون، فبلغت سرخس[5]، و نيسابور[6]، و همذان و الري[7] و حلوان[8] .

و في سنة 237هـ سقط بالبصرة برد كبار، تكسر ثمانية آلاف نخلة كما وقع ببغداد سنة 240 برد أعظم من الجوز، مثل بيض الحمام، مع مطر شديد، و سقط يومئذ بسامراء برد مثل بيض الدجاج[9].

و في سنة 260هـ و ذلك في خلافة المعتمد حيث كان برد شديد أهلك الأشجار و الثمار، و الحنطة و الشعير و طالب الناس بالخراج على الغلات[10]التي ملكت فاشتد الأمر عليهم كثيرا، حيث كانت ضريبة الزرع مفروضة عليهم بصرف النظر عن نضج الزرع و الاستفادة منه، أو موتته و عدم الانتفاع منه، و هذه كانت سمة الجباية في العصر

1/ همذان: في الإقليم الرابع و طولها من جهة المغرب ثلاث و سبعون درجة، و عرضها ست و ثلاثون درجة و قال هشام بن الكلبي: همذان سميت بهمذان بن الفلوج ابن سامر بن نوح عليه السلام، و همذان و أصبهان أخواه بني كل واحد منهما جلدة و كانت شديدة البرد، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5 ، ص 410 .

2/ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج11، ص 209 ، السيوطي ، المصدر السابق ، ص 275 .

3/ حسن إبراهيم حسن ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 11 .

4/ ابن كثير، المصدر السابق ، ج15، ص 376 .

5/ سرخس : مدينة قديمة من نواحي خراسان كبيرة و واسعة و هي بين نسيابور و مروفي وسط الطريق بينها و بين كل واحدة منهما ست مراحل و هي في الإقليم الرابع ياقوت الحموي، المصدر السابق ، ج3، ص 208 .

6/ نيسابور : مدينة عظيمة منبع العلماء طولها خمس و ثمانون درجة و عرضها تسع و ثلاثون درجة خارجة من الإقليم الرابع في الإقليم الخامس، المصدر نفسه، ج5، ص 331 .

7/ الري : تقع قرب خراسان، فتحت عام 20هـ و يقال الذي بنى مدينة الري الحديثة المهدي في خلافة المنصور، المصدر نفسه ، ج3 ، ص 116 ، 117 .

8/ حلوان: توجد في أواخر حدود السواد ما يلي الجبال من بغداد و هي في الإقليم الرابع المصدر نفسه، ج2، ص 290 ،

9/ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج11 ، ص 270 – 271 .

10/ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 247 .

العباسي[1].

و في سنة 265 تعرضت بغداد و سوادها[2] لموجة من البرد الشديد الذي استمر أياما، و تسبب في موت عدد من الأهالي و خربت الكثير من الأشجار و الزروعات في بساتين السواد و عدد من المناطق، و سقط الثلج في بغداد[3].

و في سنة 266هـ تجمد الماء في بغداد من شدة البرد، و ذلك بعد أن كانت موجه حر شديدة[4] و قد أثرت على الزروع و الشجر في السواد و أضر الكثير منها[5].

و في سنة 284هـ و في فترة خلافته المعتضد قحط الناس، و قلت الأمطار، و غارت المياه حتى احتاج الناس إلى الاستسقاء، فاستسقوا بغداد مرات، و آل حال الزرع إلى الموت، و بدت حقول السواد من الجفاف جرداء فأصبحت الجذوع خاوية[6].

و في سنة 285هـ يذكر أن ريحا صفراء ارتفعت بنواحي الكوفة في ليلة الأحد لعشر بقين من شهر ربيع الأول، فلم تزل إلى وقت صلاة المغرب ثم استحالت سوداء فلم يزل الناس في تضرع الله و إن السماء مطرت بعقب ذلك مطرا شديدا برعود هائلة و بروق متصلة ثم سقط بعد ذلك بقرية تعرف بأحمد أباذ و نواحيها حجارة بيض و سود مختلفة الألوان في أوساطها ضغطة شبه أفهار العطارين، فأنفذ منها حجرا فأخرج إلى الدواوين

1/ المطيري ، المرجع السابق ، ص 378 .

2/ السواد: موضوعان أحدهما نواحي قرب البلقان سميت بذلك لمواد حجارتها و الثاني يراد به رستاق العراق و ضياعها التي افتتحها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب و سمي بذلك لسواده بالزروع و النخيل و الأشجار .ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص 272 .

3/ الطبري ، المصدر السابق ، ج9 ، ص 543 .

4/ ابن كثير ، المصدر السابق ، ج15 ، ص 571 .

5/ ابن الأثير المصدر السابق ، ج6، ص 291 .

6/ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج12 ، ص 373 ، 374 .

و الناس حتى رأوه[1].

و في نفس السنة هبت ريح صفراء بالبصرة، ثم صارت خضراء، ثم صارت سوداء و امتدت إلى الأمصار، و وقع عقبها برد، زنة البرد مائة و خمسون درهما، و قلعت الريح نحو خمسمائة نخلة، و مطرت القرية حجارة سودا و بيضا[2].

و في سنة 289ه في بداية خلافة المكتفي، هب هواء من ناحية الشمال، فبرد الوقت، و اشتد البرد ، حتى احتاج الناس إلى النار و لبس الجباب، و جعل البرد يزداد حتى جمد الماء. و فيها زادت دجلة قدر خمسة عشر ذرعا[3].

و في نفس السنة هبت ريح عاصف بالبصرة، فقلعت كثيرا من نخلها، و خسف بموضع منها هلك فيها ستة آلاف نفس[4].

و في سنة 296ه، و هي السنة الثانية من حكم الخليفة المقتدر، و فيها سقط ببغداد ثلج كثير من بكرة إلى العصر فصار على الأرض أربع أصابع[5]، و كان معه برد شديد و جمد الماء و الخل و البيض و الأذهان، و هلك النخل و كثير من الشجر[6].

و في سنة 308ه جاء في شتاء برد شديد أضر بالنخل و الشجر، و سقط ثلج كثير، فتأذت الزراعة في السواد، و سقط عدد من الجمهور فساءت أحوال الري حتى توقف

1/ الطبري ، المصدر السابق، ج10 ، ص 67 .

2/ السيوطي ، المصدر السابق ، ص 295 .

3/ الطبري ، المصدر السابق ، ج10 ، ص 96 .

4/ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 289 .

5/ الطبري ، المصدر السابق، ج10، ص 141 .

6/ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 464 .

ري الأراضي و قلت اثر ذلك الغلال، و نشبت في بغداد أزمة عارمة لارتفاع الأسعار[1].

و في سنة 314هـ و ذلك في زمن خلافة المقتدر، وقع بردا شديدا و قاسي، أعقبه سقوط الثلج بكثرة، فأتلف الشجر و النخل في بغداد و سوادها، و تلف شجر الأترج و التين و السدر، و جمد الشراب و الماورد و الخل، و جمدت الخلجان الكبار من دجلة بغداد، و دجلة بأسرها بالموصل حتى عبرت الدواب عليها، ثم انكسر البرد بمطر وقع، و ساءت أحوال الري و تعطلت القنوات[2].

و في سنة 329هـ من ربيع الأول و في مستهل خلافة المتقي بالله، كان بالعراق غلاء شديد فاستسقى الناس، فسقوا مطرا قليلا لم يجر منه ميزاب فاشتد الغلاء و الوباء[3]، و جاع الناس حتى أكلوا الحشيش، فكثر الموت فيهم، و هلك الكثيرون من الجوع و المرض، فجفت الأراضي و دب الموت في أوصال المزارع و الحقول، و هلك الشجر و الثمر، و بيع العقار و الأثاث بأرخص الأسعار، و اشترى بالدرهم ما كان يساوي الدينار. فصلى الناس بعدها و استسقوا فجاءت الأمطار، و غرقت العباسية[4].

و في سنة 331هـ في فترة الخليفة المتقي بالله تعرضت البلاد لموجة حر شديدة و ذلك في أول محرم، و هو النصف من أيلول، حيث قرب الحر حتى أخذ بالأنفاس فخرج أيلول كله عن حر شديد، و دخل تشرين بمثل ذلك، و كان في اليوم الثامن منه حر لم يكن مثله في آب و تموز[5]، فجفت معظم الأراضي و هلك أكثر ما فيها من الأشجار و

1/ ابن كثير ، المصدر السابق ، ج15 ، ص 815 .

2/ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج13 ، ص 255 ، 256 .

3/ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج7 ، ص 158 .

4/ ابن كثير ، المصدر السابق ، ج16 ، ص 135 .

5/ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج14 ، ص 26 .

المحاصيل[1].

ثانيا : الكوارث الطبيعية و الجيولوجية :

و في سنة 233هـ ربيع الآخر زمن خلافة المتوكل رجفت دمشق رجفة شديدة لارتفاع الضحى و انتقضت منها البيوت، و تزايلت الحجارة العظيمة، و سقطت عدة منازل و طاقات في الأسواق على من فيها، فقتلت خلقا كثيرا، و امتدت إلى انطاكية فهدمتها، و إلى الجزيرة فأخربتها و إلى الموصل و يقال أنه هلك من أهلها خمسون ألفا[2].

و في سنة 240هـ وقع الجراد على البصرة، فخرج الناس في طلبه فأصابهم من الليل ظلمة و ريح و مطر فمات منهم ألف و ثلاثمائة إنسان[3].

و في سنة 242 هـ من خلافة المتوكل زلزلت الأرض زلزلة عظيمة بقوس[4]و أعمالها و الري، و خرسان[5]و نسيابور، وطبرستان[6]، و أصبهان[7]، و تقطعت الجبال و تشققت الأرض بقدر ما يدخل الرجل في الشق، و رجمت قرية السويدا بناحية مصر من السماء، و وزن حجر من الحجارة فكان عشرة أرطال، و سار جبل باليمن عليه مزارع لأهله

1/ المطيري ، المرجع السابق ، ص 380 .

2/ السيوطي ، المصدر السابق ، ص 275 .

3/ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج11، ص 270 .

4/ قوس : واد من أودية الحجاز. ياقوت الحموي، المصدر السابق ، ج4، ص 413 .

5/ خراسان: بند واسعة أول حدودها مما يلي العراق، و آخر حدودها مما يلي الهند و تشمل على أمهات المدن. المصدر نفسه، ج2، ص 350 .

6/ طبرستان: كلمة فارسية تتكون من مقطعين، طبر و ستان و هي بلدة واسعة يشتمل عليها هذا الاسم، و تقع قرب خراسان. المصدر نفسه، ج4، ص 16 .

7/ أصبهان: مدينة عظيمة و اسم لإقليم بأسره، و هي من نواحي الجبل في آخر الإقليم الرابع و هي اسم مركب الأصل البلد بلسان الفرس، وهان اسم الفارس يعني بلاد الفرسان و الأصبهاني الفارس. المصدر نفسه، ج1، ص 206، 207 .

حتى أتى مزراع آخرين[1]و احترق بالكرخ مائتا حانوت و نيف و احترق رجال و نساء و صبيان[2].

و في سنة 245ه عمت الزلازل الدنيا، فأخربت المدن و القلاع و القناطر، و سقط من أنطاكيه جبل في البحر، و سمع من السماء أصوات هائلة و زلزلت مصر، و سمع أهل بلبيس من ناحية مصر صيحة هائلة، فمات خلق منها، غارت عيون مكة حتى أرسل المتوكل مائة ألف دينار لإجراء الماء من عرفات إليها [3].

و في سنة 258ه زمن خلافة المعتمد وقعت منطقة قرب البصرة تحت تأثير زلزلة شديدة أهلكت من أهلها قرابة العشرين ألفا، و هدمت أكثر المنازل و القناطر في المدينة[4].

و في سنة 270 من خلافة المعتمد انشق ببغداد في الجانب الغربي منها من نهر عيسى شق، فغرق الدباغين و أصحاب الساج بالكرخ، حيث ذكر أنه أهلك سبعة آلاف دار و نحوها و قد أغرقت مياه البثق المنفجرة حقول و بساتين هذه القرية التي كانت عامرة بأشجارها و غلاتها و ربما خالت من قنطرتها الوحيدة فباتت دمارا من خراب زرعها و فساد ثمارها الذي توقف وصوله إلى سوق بيعه في الكرخ فتأثر جراء ذلك وارد الزراعة[5].

و في سنة 280ه في عهد الخليفة المعتضد وزلزلت الأرض زلزلة عظيمة أذهبت عامة المدينة، فكان عدة من أخرج من تحت الردم مائة ألف و خمسين ألفا[6].

---

[1]/ السيوطي ، المصدر السابق ، ص 276 .

[2]/ ابن الجوزي، المنتظم ، ج11 ، ص 294 .

[3]/ الطبري ، المصدر ، ج9 ، ص 213 .

[4]/ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج12، ص 136 .

[5]/ السيوطي ، المصدر السابق ، ص 291 .

[6]/ ابن كثير ، المصدر السابق ، ج15 ، ص 652 .

و في سنة 289هـ في خلافة المكتفي و ذلك في رجب زلزلت الأرض زلزلة عظيمة جدا و زلزلت بغداد من هذه السنة عدة مرات[1].

و في سنة 303هـ من خلافة المقتدر، اشتعلت النيران في معظم بغداد و احترقت أكثر المدينة، و قد تأذت الأشجار احترقت أجزاء كبيرة من الأراضي و الحقول المزروعة و في سنة 307هـ وقع بالكرخ من بغداد حرق عظيم هلك فيه خلق كثير و احترقت المزروعات و الدور و الأراضي المغروسة في المدينة[2].

و في سنة 309هـ من ربيع الأول وقع حريق كثير بباب الشام فأحرق الكثير من مواضع الشام و مات خلق كثير[3].

و في سنة 311 هـ من عهد الخليفة المقتدر أيضا، ظهر الجراد و عظم أمره، و كثر فساده للغلات[4]، فكان وصفا مريرا تعيشه الزراعة حيث انتشر في المزارع و الحقول فأتلف المحاصيل، فسميت هذه السنة من حكم المقتدر " بسنة الدمار" لشدة وطأتها على الناس و الأرض[5].

و في سنة 314هـ من ليلة الثلاثاء لأربع بقين من جمادى الأولى وقع حريق في نهر طابق فاحترقت فيه ألف دار و ألف دكان[6].

---

[1]/ ابن كثير ، المصدر السابق ، ج15 ، ص 715 ، 716 .

[2]/ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج6، ص 490 و 506 .

[3]/ ابن الجوزي، المنتظم ، ج13 ، ص 199 .

[4]/ المصدر نفسه، ج13، ص 218 .

[5]/ المطيري ، المرجع السابق ، ص 381 .

[6]/ ابن كثير ، المصدر السابق ، ج16 ، ص 21 .

كما وقع في رجب حريق في دار السلطان فاحترقت دور الأمراء[1].

و في سنة 327هـ في جمادى الأولى تساقطت أمطار غزيرة تحولت إلى برد كبير تسبب في تدمير حيطان كثيرة من دور بغداد، و ظهر جراد كثير[2]، انسحب أذاه مع ما كان من أثر التساقط الكثيف على الزروع و المحاصيل في بغداد و سوادها، فأضرها و أتلف كثيرا منها[3].

و في سنة 331هـ عم العراق بشكل عظيم نوع من الجراد، أهلك الأشجار و الثمار و أفسد الغلال في الأراضي بالبساتين، مما أدى إلى ارتفاع الأسعار، كما كانت زلزلة بناحية نسا من خراسان، فخربت قرى كثيرة، و مات تحت الهدم عالم عظيم، و كانت قوية جدا، و سقطت عمارات كثيرة و هلك بسببها خلق كثير[4].

ثالثا : الفيضانات و السيول :

و في سنة 232 هـ من خلافة المتوكل زادت دجلة فيها زيادة عظيمة بسبب الأمطار الغزيرة فركب الماء إلى الربض الأسفل و شاطئ نهر سوق الأربعاء[5] فدخل كثير من الأسواق[6].

حيث حدث في سنة 285هـ في خلافة المعتضد أن زادت مياه دجلة زيادة مفرطة

1/ ابن كثير ، المصدر السابق ، ج16 ، ص 21 .

2/ المصدر نفسه، ص 377 ، 378 .

3/ المطيري ، المرجع السابق ، ص 381 .

4/ ابن كثير ، المصدر السابق ، ج16 ، ص 150 .

5/ سوق الأربعاء: بليدة من نواحي الأهواز، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص 283 .

6/ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 95 .

لم ير مثلها، فجرفت المياه المزروعات و الأشجار، و تهدمت الدور الكثيرة من حوله[1].

و في سنة 289ﻫ في بداية خلافة المكتفي، زادت مياه دجلة زيادة كبيرة فبلغت خمسة عشر ذرعا، فارتفع الماء و هدم القناطر و الجسور، فأغرق خلقا كثيرا و أتلف أشجارا و غلات و أغرقت المواشي[2].

و في سنة 292ﻫ في عهد المكتفي زادت دجلة زيادة مفرطة، فتهدمت المنازل على شاطئيها من الجانبين، و نبعت المياه من المواضع القريبة منها[3].

و في سنة 300ﻫ في زمن المقتدر مدت دجلة مدا عظيما، و كثرت الأمطار، و مات في المد كثير من الناس في بغداد و سوادها، و غرقت الأراضي و الأشجار و البساتين و المزروعات، و كان من نجا من الفيضانات يباد من الداءات و العلل التي انتشرت في بغداد بين الناس[4].

و في سنة 315ﻫ من سنة حكمه أيضا، زادت دجلة زيادة كبيرة إذ بلغت اثني عشر ذرعا[5]، رغم أنه هذه الزيادة كانت أقل من سابقتها التي حصلت في سنة 310ﻫ إلا أن الضرر الذي نجم عليها كان بالغا، و امتد يشمل الجسور التي دمرت، و القناطر و القنوات التي خربت، و أتلفت الكثير من المحاصيل المزروعات[6].

---

[1]/ ابن كثير ، المصدر السابق ، ج15 ، ص 677 .

[2]/ ابن الأثير، المصدر السابق ، ج6 ، ص 416 .

[3]/ السيوطي ، المصدر السابق ، ص 132 .

[4]/ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج13 ، ص 132 .

[5]/ المصدر نفسه ، ج13 ، ص 265 .

[6]/ المطيري ، المرجع السابق ، ص 383 .

و في سنة 316هـ زادت دجلة بغتة زيادة مفرطة قطعت الجسور ببغداد، و عرف من الجسارين جماعة و بلغت زيادة الفرات اثني عشر ذرعا و ثلاثين[1].

و في سنة 319هـ، في أواخر عهد الخليفة المقتدر فقد عانت مدينة تكريت و السواد من سيل جارف من الأمطار الشديدة، تسبب في غرق مئات الدور و الدكاكين في الأسواق، و عرف خلق كثير من الناس، و دفن المسلمون و النصارى مجتمعين، و غرقت أعداد كثيرة من الحقول و المزارع فانتكست أحوال الري و الزراعة[2].

و في سنة 328هـ في زمن الراضي، بلغت زيادة الماء في دجلة تسعة عشر ذرعا، و بلغت زيادة الفرات إحدى عشر ذرعا[3]، و انبثق بثق من نواحي الأنبار فاجتاح القرى و غرق الناس و البهائم و السباع، و غرق شارع الأنبار فلم يبق فيه منزل، و تساقطت الدور و الأبنية، و انقطعت بعض القنطرة العتيقة و الجديدة[4].

و في سنة 329هـ و في أواخر حكم الراضي، انتكس الري لتدمير أكثر وسائله، حيث أفاقت بغداد على فيضانين لدجلة و الفرات حيث هلك معظم البشر و خربت الأراضي و المزارع و الغروسات[5].

حيث أن الفرات زادت أحد عشر ذرعا و انبثق بثق من نواحي الأنبار، فاجتاح القرى و غرقتها وغرق الناس و البهائم و الوحش و السباع، و صب الماء الصراة إلى بغداد

1/ ابن الجوزي، المنتظم ، ج13 ، ص 273 .

2/ ابن الأثير، المصدر السابق ، ج7، ص 70 .

3/ السيوطي ، المصدر السابق ، ص 311 .

4/ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج13 ، ص 382 .

5/ المطيري ، المرجع السابق ، ص 384 .

و غرق الشارع الجانب الغربي و غرق شارع جاب الأنبار، فلم يبق منه منزل إلا و سقط و تساقطت الأبنية على الصراة، و سقطت قنطرة الصراة الجديدة، و انقطعت العتيقة و زادت دجلة ثمانية عشر ذرعا في أيار و حزيران[1].

و فيها انبثق نهر الرفيل[2]و نهر بوق[3]، فلم يقع عناية، قبل حدوث البثوق- بتلا فيهما حتى خربت بادوريا[4] بهذين البثقين بضعة عشر سنة[5].

و في سنة 330 من خلافة المتقي و ذلك من يوم الجمعة لأربع خلوان من شهر ربيع الآخر جاء مطر كأفواه القرب، و امتلأت البلاليع و فاضت، و دخل دور الناس[6]، و بلغت زيادة دجلة عشرين ذرعا[7]مما أثر على حياة الزراعة و الري في الدولة[8].

و ازداد الأمور سوءا في هذه السنة من حكم المتقي، حيث انبثق النهروان نتيجة سوء تصرف ابن رائق و جنده حيث خرب الدنيا و غلت الأسعار، و بقيت مرتفعة إلى حوالي 334هـ[9]، فأكل الضعفاء الميتة و دام الغلاء و كثر الموت، و تقطعت السبل و شغل

---

[1]/ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج13 ، ص 403 .

[2]/ نهر الرفيل: نهر يصب في نهر دجلة في بغداد، مأخذه من نهر عيسى ، عليه قنطرة تسمى قنطرة الشوك، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص 55 .

[3]/ نهر بوق : يقع قرب بغداد من الناحية الجنوبية، المصدر نفسه ، ج1، ص 510 .

[4]/ بادوريا: منطقة تقع بالجانب الغربي من بغداد، المصدر نفسه ، ج1 ، ص 317 .

[5]/ المطيري ، المرجع السابق ، ص 384 .

[6]/ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج14 ، ص 19 .

[7]/ ابن كثير ، المصدر السابق ، ج16 ، ص 139 .

[8]/ المطيري ، المرجع السابق ، ص 384 .

[9]/ السيوطي ، المصدر السابق ، ص 312 .

الناس بالمرض و الفقر، و ترك دفن الموتى، و شغل الناس عن الملاهي و اللعب[1].

2- الأوبئة و الأمراض :

تعرضت الدولة العباسية في العصر الثاني لها إلى جملة من الكوارث الطبيعية التي عادت سلبا على اقتصادها و مجتمعها و أثرت تأثيرا بليغا على ثرواتها، بالإضافة إلى اصطدامها بلون آخر من هاته الكوارث ألا و هي الأمراض و الأوبئة التي تصيب الإنسان، إذ كانت هذه الأوبئة نتيجة للكوارث و نقص في الموارد الغذائية[2].

و في سنة 240ﻫ في خلافة المتوكل خرجت ريح من بلاد الترك، فمرت بمرو و قتلت بشرا كثيرا بالزكام، ثم صارت إلى نسيابور، و الى الري و همذان و حلوان، ثم صارت إلى العراق فأصاب أهل سامراء و مدينة السلام حمى و سعال و زكام و أشار المتطببون بالحجامة[3].

و في سنة 244ﻫ استوبأت دمشق، و ذاك أن هوائها باردندي و الماء ثقيل، و الريح تهب فيها مع العصر، و هي كثيرة البراغيث، ثم غلت الأسعار[4].

و في سنة 258ﻫ في عهد الخليفة المعتمد حدث و جاء في منطقة كور دجلة، أدى هلاك خلق كثير بمدينة بغداد و واسط و سامراء[5].

1/ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج14 و 19

2/ خضير نعيمة هادي، " الكوارث الطبيعية و البيئية و الظواهر الفلكية في العراق من خلال كتاب المنتظم لابن الجوزي"، ع 203 (2012) ، ص 661 و 383 .

3/ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج11 ، ص 270 .

4/ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج6، ص 129.

5/ اليعقوبي ، المصدر السابق ، ج2، ص 477 .

و في سنة 278هـ في عهد الخليفة الموفق الذي حارب الزنج و أبادهم و كان محببا لدى الناس، لكنه أصابه مرض برجله يسمى بداء الفيل[1].

و في سنة 288 في خلافة المعتضد وقع وباء بأذربيجان[2]، فمات منه خلق كثير حتى لم يجد الناس ما يكفنون به الموتى، كما لم يجدوا من يدفن الموتى، فكانوا يتركونهم في الطرق على حالهم[3].

و يذكر ابن الجوزي أنه في سنة 299هـ ورد الخبر من فارس بأنه حدث فيها طاعون فمات فيها سبعة آلاف إنسان[4].

و في سنة 300هـ من خلافة المقتدر كثرت الأمراض و العلل ببغداد في الناس و ذكر أن الذئاب و الكلاب كلبت فيها بالبادية، فكانت تطلب الناس و الدواب و البهائم فإذا عظت إنسانا أهلكته[5].

و في سنة 301هـ في خلافة المقتدر أيضا وقع و باء ببغداد .

فكان بها نوع سموه حنينا، و منه نوع سموه الماسرا، فأما الحنين فكانت سليمة، و أما الماسرا فكانت طاعونا قاتلا[6].

1/ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج1، ص 249 .

2/ أذربيجان: و هي في الإقليم الخامس، تحدها برذعة مشرقا الى أرزنجان مغربا و يتصل حدها من جهة الشمال الديلم، و الجيل، و الطرم، و هو إقليم واسع و أشهر مدائنها تبريز، ياقوت الحموي، المصدر السابق ، ج1، ص 128 .

3/ الطبري، المصدر السابق ، ج10، ص 83 ، ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 407 .

4/ المصدر السابق ، ج13، ص 123 .

5/ الطبري، المصدر السابق ، ج10 ، ص 146 .

6/ المصدر نفسه ، ج10، ص 147 ، ابن الجوزي، المنتظم ، ج13 ، ص 301 .

و في سنة 320هـ في خلافة القاهر بالله أن الشتاء كانت دافئة و كان هوائها كهواء الربيع فلما جاء الربيع كثرت الأمراض الحادة منذ شباط، و كثر الموت[1].

و في سنة 324هـ أنه وقع فيها الطاعون و غلت الأسعار و اقترب بذلك الموت، و خص ذلك الضعفاء، و كان يجعل على النعش اثنين أو أكثر و ربما بقي الموتى على الطريق، و ربما ألقي في الحفرة الكبيرة أكثر من شخص[2].

و في سنة 326هـ في خلافة الراضي أنه وقع الوباء في البقر، و ظهر في الناس جرب و بثور[3].

و في سنة 329هـ في بداية خلافة المتقي لله فقد ذكر ابن الأثير أنه اشتد الغلاء و الوباء و كثر الموت حتى كان يدفن جماعة في قبر واحد، و لا يغسلون و لا يصلى عليهم[4].

و في خلافة المتقي بالله من سنة 329 وقع الموت في المواشي و العلل في الناس، و كثرت الحمى و وجع المفاصل و دام الغلاء و هلك الفقراء[5].

و في سنة 330هـ ارتفعت الأسعار و كثر الموت و شغل الناس المرض و الفقر، فتقطعت السبل و ترك تدافن الموتى[6].

و في سنة 331هـ وقع الوباء و غلت الأسعار حتى أكلوا الكلاب و بيع الجراد و كان معونة للفقراء لشدة غلاء الخبز[7].

---

[1]/ ابن الجوزي، المنتظم ، ج13 ، ص 305 .

[2]/ ابن كثير ، المصدر السابق ، ج16 ، ص 96 .

[3]/ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج13 ، ص 374 .

[4]/ المصدر السابق ، ج7، ص 329 .

[5]/ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج14، ص 7 .

[6]/ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج7 ، ص 168 .

[7]/ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج14، ص 27.

الفصل الثالث:

آثار الأحداث
و الأزمات الاقتصادية
على الدولة العباسية

المبحث الأول: أثر الأحداث و الثورات على الحياة الاقتصادية:

يعتبر الطور الثاني في العصر العباسي للخلافة العباسية طور فتن و حروب داخلية و تدهور، كالنزاع الذي وقع بين المعز و المستعين و ثورة الزنج و غيرها من الثورات و الأحداث، فكلها كان لها تداعياتها و انعكاساتها السلبية على اقتصاد الدولة العباسية و شعبها، فهذه الفتنة الأهلية و التي دارت رحالها زهاء عشرة شهور، ترتب عليها ضعف كبير في اقتصاد الخلافة فقد ضرب على مدينة بغداد الحصار و حصنت بتقوية أسوارها و فجرت الأنهار [1].

و أمر المستعين بقطع الميرة على سامراء و هذا يدل على أن المستعين قام بمحاصرة سامراء اقتصاديا[2]، و هذا الحصار قد نجم عنه انقطاع الموارد الاقتصادية و نقص في مواد التغذية التي أدت إلى ارتفاع فاحش في الأسعار، حيث بلغ سعر القفيز[3] الواحد من الحنطة 100 درهم و بعدها تلتها ثورة الزنج التي أرهقت خزائن الدولة العباسية، و بدأ صاحبها علي بن محمد بأعماله التخريبية فهاجم القرى و المزارع لعدم توفر الأموال و الأسلحة[4] و السيف عند دخولهم البصرة [5].

فخلال النزاع الذي وقع بين المعز و المستعين سنة 251هـ أنه تم إغراق منطقتين زراعيتين مهمتين عمدا بغرض الحماية الكافية لمدينة بغداد و لتقوية تحصيناتها، و كان

1/ السامرائي ، المؤسسات الإدارية ، ص 21 .

2/ ضيف الله بن يحي الزهراني ، المرجع السابق ، ص 197 و 245 .

3/ القفيز : مكيال وحدة من وحدات الوزن و هو ثمانية مكاكيك، الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، ساحة رياض الصلح، بيروت ، 1976 ، ص 228 .

4/ ضيف الله بن يحي الزهراني ، المرجع السابق ، ص 197 و 245 .

5/ السيوطي ، المصدر السابق ، ص 289 .

نتيجة هذا الصراع و ما خلفه هو أن هاجر قسم كبير من المزارعين بسبب الإغراق المعتمد لأراضيهم[1].

ففي سنة 251هـ كذلك بلغ الخبز ثلاث واق بدرهم، و اللحم بأربعة دراهم و شربة ماء ثلاثة دراهم[2].

بالإضافة إلى عدم إدامة الترميم و صيانة السدود و القناطر، كذلك تأرجحت أمور الزراعة في عهد المقتدر و ساءت أحوالها، فقد حدث إهمال كبير في صيانة السدود و مشاريع الري و الذي زاد الأمر سوءا هو نظام جباية الضرائب الذي أضر بالمزارعين و بالإقتصاد فكان على الوزير أن يضمن مبلغا من المال لخزينة الدولة دون النظر إلى كيفية الحصول على هذا المال و لا ننسى انشغال الخلفاء و الوزراء بصراعهم على السلطة و الريادة مما أدى إلى انشغالهم عن الفلاحين و الفلاحة و تضرر اقتصاد البلاد[3].

و لقد أثر الزنج بإقتصاد الدولة العباسية كثيرا، فلما وجد صاحب الزنج البصرة مخربة هكذا فرض عليها حصارا اقتصاديا أضر بأهلها أشد الضرر[4]، و وضع خطة غاية في الاحكم تتلخص في قطع مواصلات البصرة بدجلة و عزلها عن المناطق المجاورة[5].

1/ ضيف الله بن يحي الزهراني، المرجع السابق ، ص 197 و 245 .

2/ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج12 ، ص 50 .

3/ ضيف الله بن يحي الزهراني ، المرجع السابق ، ص 197 و 245 .

4/ صادق عبد الرسول ، المرجع السابق ، ص 43 و 82 .

5/ فيصل السامر ، المرجع السابق ، ص 105 .

و جاء هذا القطع للاتصالات بعدما سمع صاحب الزنج بورود سمك من البطيحة و بوصول أعراض من البادية إلى معسكره بحجة شراء التمر منع جلب السمك منعا باتا[1].

كما سدت المنافذ على المختارة فتوقفت إمداداتها بالأغذية و العتاد و أحرقت أثناء الغارات مخازن الحبوب التي كانت بها[2].

و بعدها عادت ثورة الزنج لتقطع مواصلات البصرة مجددا بدجلة[3] و خربوا المدن التي حولها ثم قرروا مهاجمتها، إذ كانت تعاني يومئذ من الغلاء الشديد و العصبية التي كانت تمزق صفوف حاميتها الضعيفة[4].

كما أفضت الحرب بنتائج شديدة الوطأة على أهل السواد، فخربت أراضيهم و خسروا وسيلة الإنتاج الأساسية لهم، و هاجروا إلى بغداد، و أصيبت الدولة العباسية في أعز مواردها[5].

و حاول صاحب الزنج اختراق الحصار الاقتصادي و تهديد تموين الموفق سنة 267هـ فأرسل له حملة من 10.000 إلى جهة البطيحة[6] لأخذ كل ما وجد من طعام و ميرة و ليقطع الميرة الواردة من مدينة السلام و واسط عن الموفق[7].

1/ الدوري ، دراسات في العصور العباسية ، ص 99 .

2/ المرجع نفسه ، ص 78 .

3/ محمد عمارة ، المرجع السابق ، ص 87 .

4/ الدوري ، دراسات في العصور العباسية ، ص 88 .

5/ فهمي سعد ، العامة في بغداد في القرن الثالث و الرابع للهجرة دراسة في التاريخ الاجتماعي، دار المنتخب العربي بيروت، 1993 ، ص 52 .

6/ البطيحة: بالفتح ثم الكسر و جمعها البطائح و البطيحة و البطحاة واحد و تبطل السبل إذا اتسع في الأرض، و بذلك سميت البطائح واسط لأن المياه تبطحت فيها أي سالت و اتسعت في الأرض و هي أرض واسعة بين واسط و البصرة و كانت قديما قرى متصلة و أرضا عامرة، الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 450 .

7/ الدوري ، دراسات في العصور العباسية ، ص 100 .

فصاحب الزنج علي بن محمد هذا لم يدع شيء إلا و فعله لإستمرار هذا الحصار الإقتصادي فأحرق غلالهم و مؤنهم، فعضهم الجوع و خارت قواهم فإستسلمت أعداد كبيرة منهم[1].

و من خلال ثورتهم هذه نجد أو نرى الضرر الاقتصادي الذي لحق بالدولة العباسية فقد تعطلت الزراعة لسنين كثيرة، و من الطبيعي أن تجف موارد بيت المال من جراء تعطل الزراعة و الإضطرابات و هذا بطبيعة الحال نجم عنه تفاقم و ازدياد كبير في غلاء الأسعار، ففي عام 260ھ بلغ كر الحنطة ببغداد 850 دينارا[2].

و في نفس السنة (260ھ) اشتد الغلاء في عامة بلاد الإسلام، حيث بلغ كر الحنطة آنذاك خمسين و مائة دينارا و دام ذلك شهورا عدة[3].

و في سنة 329ھ، تفاقم الوضع و تزايد إذ نجد في جمادى الأولى بلغ الكر الدقيق مائة و ثلاثين دينارا، و أكل الناس النخالة و الحشيش في آخر المطاف، ليس هذا فقط بل كثر الموت حتى دفن جماعة في قبر واحد و رخص القماش و العقار حتى بيع ما ثمنه دنانير بعددها دراهم. و في نفس السنة وقع الموت في المواشي و العلل في الناس و دام الغلاء[4].

و اشتدت وطأت هذا الحصار الإقتصادي كثيرا، و وصل بهم حتى إلى انقطاع ورود الخبز إليهم، فضاقوا ذرعا و سئموا من هذا الوضع المخزي مما دفع بالكثيرين منهم

1/ طقوش، المرجع السابق ، ص 178 .

2/ ضيف الله بن يحي الزهراني، المرجع السابق، ص 197 و 245 .

3/ ابن الجوزي، المنتظم ، ج12 ، ص 150 .

4/ المصدر نفسه ، ج14 ، ص 6 ، 7 .

إلى الاستئمان، كما كان جماعة من أعراب بني تميم الذين ساعدوا الزنج فكانوا عند دخولهم البصرة يحملون إلى المختارة الطعام و الإبل و الغنم، لكن لم يدم هذا النعيم طويلا فهاجمهم رشيق غلام أبي العباس و استولى على كل ما كانوا يحملونه، و بذلك سدت على الزنج جميع مسالك التموين و أثر هذا الحصار عليهم كثيرا، فقد أضعف أبدانهم فكان الأيسر منهم و المستأمن فيسأل عن عهده بالخبز فيعجب من ذلك، و أحرقت مخازن تموينها مرة أخرى حين تسللت خمس سفن عباسية إلى مؤخرة المعسكر الزنجي بنهر أبي الخصيب التي كانت آخر مورد يتقوتون منه الجيش المحاصر[1].

فلكل ثورة لها نتائجها السياسية و الإجتماعية و الإقتصادية، و ما يهمنا هو انعكاساتها و آثار الاقتصادية التي انبثقت من ثورة الزنج و ما خلفته حيث نجد أن هذه الحركة التي دامت أربعة عشر عاما 255هـ – 265هـ[2].

قد سيطرت على رقعة كبيرة من الأراضي من خلال استيلائها على الأبلة و بغداد و الأهواز و عبادان... الخ[3]، ما أدى إلى تضرر نشاطها الزراعي في تلك الرقعة الحساسة في الإنتاج، فقد تعطلت الزراعة في الأراضي المروية، و إرهاق الفلاحين المستقرين في جنوبي العراق، لأنهم اضطروا إلى تموين الجيشين في آن واحد و إلا تعرضوا للنهب و الإعتداء[4].

خاصة أن الزراعة تعتبر الركيزة الأساسية و النواة الأولى لتطور أي دولة و ازدهارها بين الشعوب ناهيك عن اعتمادها كمصدر رزق و معاش و أهم مقومات الحياة في

---

[1]/ فيصل السامر ، المرجع السابق ، ص 141 – 142 .

[2]/ أسامة أبو طالب، المرجع السابق ، ص 137.

[3]/ الذهبي ، دول الإسلام، ج1 ، ص 228 و 238 .

[4]/ محمد حسن العيدروسي ، العلاقات الخارجية و المعارضة الداخلية و الثورات في الدولة العباسية ،دار الكتاب الحديث، القاهرة 2011 ، ص 109 .

الدولة العباسية، و كان أثر الثورة على ذلك خراب الأراضي و طرق الري و إحراق المحاصيل الزراعية، إذ أحرق اليابس و الأخضر و أكثر المدن تعرضا للضرر ذلك أن البصرة كانت تشتهر بكثرة أنهارها حتى قيل إنها بلغت مائة و عشرين ألف نهر فهي من أعظم مدن العراق لما تملكه من أهمية جغرافية و إستراتيجية[1].

فمعنى إحراق البصرة و تخريبها و قطع الاتصالات بينها و بين بغداد و دجلة قد أضر بالتجارة من خلال تعطل المواصلات النهرية طوال تلك الحروب [2].

و في سنة 330ﻫ و بالضبط في نصف ربيع الأول، بلغ الكر الحنطة مائتين و عشرة دنانير و الكر و الشعير مائة و عشرين دينارا، ثم بلغ الكر الحنطة ثلاثمائة و ستة عشر دينارا، و أكل الضعفاء الميتة و دام الغلاء و تفاقم الوضع و كثرت الموت، و أصيب الناس بالفقر و المرض جراء الجوع و تقطع السبل[3].

و إذا كانت الأضرار لحقت بالنشاط الزراعي، فإن النشاط التجاري قد تضرر هو الآخر[4]،فقد تعطلت المواصلات النهرية سنة 267ﻫ طوال فترة الحرب، و كان الاختلال الأمن أثره في انكماش الحركة التجارية و ركودها، بالإضافة إلى مصادرة أموال التجارة الكبار المخبأة، فخلال الهجوم على البصرة طلب قائد الزنج من أصحابه الاستيلاء على الكنوز المدفونة حتى يظهر المستخفي و من قد عرف بكثرة المال[5].

1/ فيصل السامر ، المرجع السابق ، ص 93 .

2/ العيدروسي ، العلاقات الخارجية و المعارضة الداخلية ، ص 109 .

3/ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج 14 ، ص 19 .

4/ ضيف الله بن يحي الزهراني، المرجع السابق ، ص 197 و 245 .

5/ حسن العيدوسي ، العلاقات الخارجية ، ص 207 .

و حدوث حرائق أيضا في أسواق بغداد أوقات ضعف السلطة ما أثر كثيرا على التجارة في الخلافة العباسية[6].

و خربت البصرة و هي إحدى الأمصار السبع، مما يدل على تعطل المواصلات في دجلة[1]، فقد أدت جميعها إلى تعطل الخليج العربي على ماله من أثر اقتصادي و هذا كله أدى إلى شلل التجارة البحرية شللا ميتا، ناهيك عن تجارة البصرة البرية قد توقفت[2].

و في سنة 331ه كذلك غلت الأسعار، قيل حتى أكلوا الكلاب، و بيع خمسين رطلا بدرهم، فكان ذلك بمثابة إعانة للفقراء لشدة تطاير أسعار الخبز في السماء[3].

و ازداد الوضع سوءا سنة 332ه بسبب الغلاء، حيث بلغ سعر الخبز الخشكار ثلاثة أرطال بدرهم، و التمر رطلان بدرهم، و احترق الزرع... الخ[4].

و ثورة القرامطة أيضا و أحداثها شغلت الإدارة المركزية عن القيام بواجباتها تجاه الزراعة و المزارعين، ذلك بسبب أن الدولة العباسية، وجهت كافة إمكانياتها لإخماد هذه الحركة و القضاء عليهم و مقاومتها، و مما لا شك فيه أن استمرار مثل هذه الحروب قد أضر كثيرا بالزراعة و اقتصادها[5].

إذ نجم عنه أعمال تخريب متعمدة لضفاف الأنهار، من أجل استعمال المسطحات المائية كعوامل حماية تارة و أو عوامل عرقلة أمام تقدم الجيوش المتحاربة تارة أخرى[6].

6/ فهمي سعد ، المرجع السابق ، ص 257 .

1/ دجلة: نهر بغداد و لها اسمان آخران أرنك رو ذو الاسم الآخر كودك دريا أي البحر الصغير، الحموي، المصدر السابق ج2، ص 440 .

2/ ضيف الله بن يحي الزهراني ، المرجع السابق ، ص 197 و 245

3/ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج14 ، ص 27 .

4/ المصدر نفسه ، ج14 ، ص 34 .

5/ ضيف الله بن يحي الزهراني ، المرجع السابق ، ص 197 و 245 .

6/ المرجع نفسه ، ص 197 و 245 .

فقد عمل القرامطة على إيقاف الحج و مهاجمة القوافل التجارية نظرا للمنافع المادية الناجمة عنه، كما أن هجماتهم التي نفذوها على البصرة كانت تهدف إلى بث الفوضى و عدم الاستقرار لأنها كانت تسعى من وراء ذلك لتحويل تجارتها إلى موانئ الخليج التي يسيطرون عليها، إضافة إلى هيمنتها على تجارة الهند البحرية و صناعة خوزستان[1].

حيث كان الوضع الإنتاجي مضطرب الأحوال و ذلك بسبب ما خلفته الفتن و الثورات، إذ أثر ذلك في الوضع المعاشي للسكان الدولة العباسية .

فقد حصل غلاء ثلاث مرات سنة 323هـ – 329 هـ و 330هـ[2].

فجل هذه الثورات السياسية و الفتن الداخلية قد أثرت على اقتصاد الخلافة العباسية تأثيرا بليغا أدى إلى غلاء الأسعار فقد زال الأمر سوء في البصرة التي أخذت تقاسي قلة المأونة و ندة الأقوات فقد عض الجوع أهلها و كثر الوباء بها و استمرت الحرب فيها بين الحزبين المعروفين بالبلالية و السعدية[3].

1/ أسامة أبو طالب ، المرجع السابق ، ص 142 .

2/ الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص 272 .

3/ فيصل السامر ، المرجع السابق ، ص 105 .

المبحث الثاني: النتائج المترتبة عن الأزمات الاقتصادية:

نظرا للوضع الاقتصادي و المالي المتأزم الذي تعرضت له الدولة العباسية في عصرها الثاني الذي أثر على خزينة الدولة و على القطاع الاقتصادي إلا أن الدولة قد واجهت هذه المشكلات و الأزمات بمحاولة التصدي لها و علاجها بمختلف الطرق و ذلك لإصلاح الوضع المالي و الاقتصادي و من بين هذه الطرق و الأساليب لعلاج هذه الأزمات ما يلي :

أولا : تغيير طرق الجباية :

و المقصود بها جباية الضرائب، و قد ركزت الدولة العباسية على طريقة الضمان و الذي يعني أن يعين الخليفة أو الوزير شخصا ما في منصب أو إقليم على أن يضمن للخزينة المركزية مبلغا متفقا عليه من المال، مقابل السماح له بجباية ما يمكن جبايته من أهل الولاية التي تضمنها، حيث يصبح ما يجبيه ملكا له[1].

و كان البعض من هؤلاء العمال يدفع مبلغ الضمان للسنة الأولى مقدما عند إصدار أمر تعيينه، ثم يوالي إرسال المبلغ الذي قوطع عليه سنويا من ولايته[2].

و لعل سبب اللجوء إلى هذه الطريقة راجع إلى حالة الدولة و الأزمات المالية التي كانت تمر بها و قد قال الصابي " الضمان يذهب الارتفاع"[3]، و إلى هذا أشار أحمد علبي قائلا: " و من مظاهر الانحطاط و التعثر في مالية الخلافة أن نظام الالتزام أو التقبيل

[1]/ الدوري ، دراسات ، ص 191 .

[2]/ مسكويه ، المصدر السابق ، ج5، ص ص 34 ، 39 .

[3]/ الارتفاع : يراد به الإيراد و الضريبة ، المصدر السابق ، ص 25 .

أو الضمان قد أصبح على ما يظهر ، النظام السائد"[1].

و كان الوزير عندما يعجز عن دفع الضمان كاملا مقدما، كان يضطر تحت إلحاح حاجته إلى الأموال إلى أن يتسلم قسطا من مبلغ الضمان مقدما (معجلا)، و يؤجل للضامن دفع الباقي إلى أن يستلم عمله، فمثلا: كان المهتدي بالله يمتدح وزيره سليمان بن وهب و يلاحظ عليه إتباع هذه الطريقة من الضمان بقوله: " نعم الرجل أنت لولا المعجل أو المؤجل"[2].

و كانت مبالغ الضمان تدفع على قسطين: معجل و مؤجل، فالمعجل هو الذي يستلمه الوزير من الضامن مقدما، كدفعة أولى، و يؤجل الدفعة الثانية حتى يستلم الضامن عمله في مقاطعته التي قوطع عليها، و لقد لجأ إليها (الضمان) الخليفة المعتضد بالله مكرها عندما تولى الخلافة، و ليس في بيت المال سوى قواريط لا تبلغ دينار[3].

و قد قام إسماعيل بن بلبل باستخراج خراج السواد لسنتين في سنة " و ليس في الخزائن موجود من مال و لا ضياعه"، فأشار عليه الوزير أبو القاسم عبيد الله بن سليمان بأن يخرج أحمد بن محمد الطائي من السجن و أن يقوم بتضميد بعض أعمال منطقة السواد، ففعل المعتضد و ضمن الطائي دفع مبلغ سبعة آلاف دينار كل يوم و ستة آلاف في كل شهر لسد العجز الحاصل في ميزانية الدولة[4].

1/ المرجع السابق ، ص 148 .

2/ السامرائي ، المؤسسات الإدارية ، ص 167 .

3/ الأزدي ، المصدر السابق ،ج2 ، ص 374 .

4/ الصابي ، المصدر السابق ، ص 13، 14 .

و أخذ خطة بالتزام الضمان و تصحيح المال على تقرر من أوقاته[1]، و استمر هذا الضمان سنتين، و أمر الخليفة المعتضد بجعل يومي الثلاثاء و الجمعة إجازة لموظفي الدولة و منع من أن يفتح في هذين اليومين ديوان أو يخرج شيء إلى مجلس التفرقة[2] على الجيش خاصة، فوفر من مالها 477 دينار[3]، و خلال فترة الضمان استطاع الخليفة أن يصلح الأوضاع الاقتصادية حتى قيل عنه: " أنه أصلح الأمور و أحسن التدبير... و بالغ في العمارة، و أنصف في المعاملة، و رفق بالرعية... و تقدم إلى أحباءه و أتباعه بلزوم الطريقة الحميدة"[4].

و عندما تولى الوزارة القاسم بن عبيد الله للمعتضد أخذ خطة بتوفير مبلغ (2.000.000) دينار لخزينة الدولة[5]،أما في عهد الخليفة المقتدر بالله فقد كثر أمر الضمان، و أصبح الشائع بين الوزراء و العمال، و أصبح المنصب الإداري لمن يهيأ أموالا كثيرة.

ففي عام 296هـ، قلد المقتدر يوسف بن أبي الساج أعمال أرمينية و أذربيجان، و ضمنها بمبلغ 120.000 دينارا،و في سنة 304هـ قرر المقتدر على أحمد بن مسافر أن يحمل من خراج الري و قزوين مبلغ 160.000 دينارا[6]، و في السنة نفسها قرر المقتدر على سبك غلام يوسف بن أبي الساج و هو على أذربيجان مبلغ 220.000 دينار، و كان البريدي على الأهواز يرسل مبالغ غير منتظمة[7].

1/ الصابي ، المصدر السابق ، ص 14 .

2/ مجلس التفرقة : جزء من الجهاز الإداري لديوان الجيش، كان يختص بتوزيع العطاء أو الرزق على أفراد الجيش، المصدر نفسه ، ص 27 .

3/ المصدر نفسه ، ص 27 .

4/ الأزدي ، المصدر السابق ،ج 2، ص 374 .

5/ ابن الطقطقى، المصدر السابق، ص 265 و 275 .

6/ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 464 .

7/ المصدر نفسه ، ج6 ، ص ص 492 ، 494 .

و في سنة 306هـ ضمن الحسين بن أحمد الماذرائي أعمال مصر و الشام بمبلغ (3.000.000) دينار[1]، و في وزارة حامد بن العباس يمكن ملاحظة الاتساع في استعمال طريقة الضمان في تعيين العمال، و استشرى فساد نظام الضمان، فقد تضمن ابن رستم أصبهان بزيادة مائة ألف دينار في كل سنة زيادة على ضمانها السابق[2].

و قد تولى حامد بن العباس و هو وزير ضمان منطقة واسط و عسف بأهلها و عمل على رفع أسعار الحبوب، و كثرت الفوضى و الشغب، و أمر الخليفة بفسخ الضمان عن حامد. و أصدر أوامره بمنع الضمان بعد ذلك عن رجال الجيش و السياسة[3] ، و مع أن هذه الطريقة اتخذت كحل لمواجهة الأزمات المالية إلا أنها لم تنجح لأن الضامنين لم يدفعوا إلا قليلا مما تعهدوا به، فإذا ما ألحت السلطة عليهم جنح البعض منهم إلى إعلان العصيان و شق عصا الطاعة، و من ثم الانفصال و الاستئثار بولاياتهم قاطعين كل صلة تربطهم بعاصمة الخلافة[4].

و ظهرت أيضا طرق أخرى للجباية مثل الإيغار، و هو أن يتولى رجل من الأثرياء جمع الخراج عن أهل منطقة و يصرف راتبه من بيت المال[5] ، و منها (القبالة) و هو أن يتكفل شخص بتحصيل الخراج و أخذه لنفسه مقابل مقدار يدفعه و هو كالالتزام و عرفه أبي عبيد بقوله: أن يستقبل الرجل النخل و الشجر و الزرع النابت قبل أن يستحصد

[1]/ الطبري ، المصدر السابق ، ج11 ، ص 68 .

[2]/ السامرائي، المؤسسات الإدارية ، ص 173 .

[3]/ الصابي، المصدر السابق ، ص ص 108 ، 110 .

[4]/ الزهراني، المرجع السابق ، ص 197 و 245 .

[5]/ الخوارزمي، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف، مفاتيح العلوم، مطبعة الشروق ، مصر ، 1342 هـ ، ص 40

و يدرك. و لم يرضى عنه الكثير من الفقهاء و اعتبره أبي عبيد حيث قال: " القبالات ربا"[1].

و قال أبي يوسف: " إنما كره القبالة لأني لا آمن أن يتحمل هذا المقتبل على أهل الخراج ما ليس يجب عليهم فيعاملهم بما وصفت لك ذلك بهم، فيخرجوا ما عمروا و يدعوه فينكسر الخراج[2].

و نظرا لما كان يمارسه الجباة مع المزارعين ظهر ما يسمى الإلجاء و يراد بها بيع لا يرد به نقل العين من ملك إلى ملك، لكن إذا كان الإنسان على شيء من ماله من إنسان يقصد أخذ بشراء أو غيره بواضع إنسانا على بيع يباشرانه دفعا لقصد ذلك الإنسان لا التزاما لحكم البيع الحقيقي، فيلجأ المزارع إلى الجاء أراضيه و ضياعه إلى قوي يدافع عنها فلا يأخذ الجباة عليها الأموال، و يقوم هو بدفع الخراج عنها إلى أن تصبح ملكا له فيما بعد[3].

و كان أثره على الوضع المالي أن قلت الموارد و ارتفعت الأسعار مما أدى إلى الاستياء من قبل العامة و حدوث ثورات و أعمال شغب لقلة المؤون و الغلاء[4].

ثانيا : المصادرة :

كانت المصادة منذ بداية العصور الإسلامية الأولى بيد الخليفة يطال بها من تجاوز أموال الدولة، ليتم استرجاعها عن طريق السجن و المطالبة فضلا عن التعذيب في بعض الأحيان[5].

1/ أبي عبيد ، القاسم بن سلام، الأموال، تح: أبو أنس سيد بن رجب، تق: أبو إسحاق الحويني ، دار الهدي النبوي ، مصر 2007 ج1 ، ص 137 ، 138 .

2/ أبي يوسف ، يعقوب بن إبراهيم، الخراج، دار المعرفة، بيروت، 1979 ، ص 105 .

3/ الخوارزمي ، المصدر السابق ، ص 41 .

4/ المطيري ، المرجع السابق ، ص 371 .

5/ البندري بنت عبد العزيز الخضر، المرجع السابق، ص 202 .

و لكن في العصر العباسي الثاني أصبحت المصادر أداة بيد المتنفذين في السلطة، حيث يقوم الخليفة أو الوزير الجديد أو أمير الأمراء بمصادرة الأموال من الوزير القديم، فضلا عن مصادرة أتباعه و حاشيته[1].

و أصبحت المصادرة وسيلة لسد العجز المالي الحاصل في الدولة، و كان الخليفة إذا احتاج إلى المال و وجد خزائنه فارغة عمد إلى مصادرة وزيره نتيجة عجز هؤلاء الوزراء عن تنظيم الجباية، و تنمية موارد الدولة فيتعذر على الوزير توفير الأموال اللازمة، فيلجأ الخليفة الى مصادرة أموال الوزير[2].

و قد شملت المصادرة بالإضافة إلى الوزراء الولاة و القضاة و موظفي الدواوين، فالمصادرات كانت مورد لمعالجة الأزمات و حاجة السلطة إلى المال لسد نفقات الدولة و كبح شغب الجيش الذي كان دائما يطالب بأرزاقه[3]، المتأخرة أو بأرزاق إضافية أخرى، و هكذا نلمس أن الخليفة كان يصادر وزيره متى ألجأته الحاجة إلى أموال يعجز الوزير عن تهيئتها و قد سبق له العهد بتوفيرها، و لا يكاد يتولى وزير إلا و انتهت وزارته بالمصادرة و القتل أو بهما معا و كان الخليفة يعتبر أموال أولئك الوزراء حقا مغتصبا من بيت المال، فاسترجاعه لا يعد ظلما في حق هؤلاء المصادرين[4].

و أصبحت المصادرة شائعة في هذا العصر و صار يتهم كل وزير سلفه بسوء التصرف و الظلم و الخيانة و الاختلاس فمن حق الوزير مطالبة و محاسبة على الثراء الفاحش الذي حققه على حساب المصلحة العامة، و في بعض الأحيان تكون الاتهامات

---

[1]/ البندري ، المرجع السابق ، ص 202 .

[2]/ اليوزبكي ، المرجع السابق ، ص 150 .

[3]/ حمدان عبد المجيد الكبيسي، عصر الخليفة المقتدر بالله، مطبعة النعمان، النجف، 1974 ، ص 554 .

[4]/ المرجع نفسه ، ص 554 ، 555 .

كاذبة، فكان الوزير الجديد يبذل كل المحاولات لاستخراج أموال الوزير و أعوانه و كتابه و أولاده و مصادرتها عن طريق الإقناع أولا ثم التهديد[1].

و كان الكتاب الوزير المعزول و أعوانه يقدمون معونة له عند المصادرة لمساعدته، إلا أن بعض الوزراء كانوا يرفضون ذلك، فلم يقبل علي بن عيسى من أحد الكتاب معونة في مصادرته[2].

و قد أصبحت المصادرة رائجة في زمن المقتدر بالله الذي أسرف الأموال حين أغلق هذا الخليفة نيفا و سبعين ألف ألف دينار سوى ما أنفقه في موضعه و أخرجه في وجوهه و بلغت عدد المصادرات في زمن هذا الخليفة بين سنتي 276-319هـ بـ 22 مصادرة، أما مقاديرها فتختلف بحسب الكفاءة المالية للأشخاص المصادرين و قد بلغت الأموال التي صادرها من الوزير ابن الفرات و كتابه بمبلغ 4.400.000 دينار[3].

و قد بلغت المصادرة في فترة سيطرة أمير أمراء بين سنوات 320 – 334هـ بـ أربعة عشرة مصادرة مختلفة[4].

و يذكر لنا الصابئ نموذجا لمصادرة نقلها عن وثيقة رسمية صدرت عن ديوان المغرب في خلافة الراضي، و فيها المصادرات التي أراد ابن الفرات و ولده المحسن استخراجها من المصادرين في وزارة ابن الفرات الثالثة و منها يمكن أن نستنتج بأن المصادرة شملت كثيرا من الكتاب و الأعوان فبلغ عددهم نحو 40 شخصا، و أن بعض هؤلاء

---

[1]/ الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص 296 ، 297 .

[2]/ السامرائي، المؤسسات الإدارية، ص 288 .

[3]/ الدوري ، تاريخ العرائق الاقتصادي ، ص 297 .

[4]/ السامرائي، المؤسسات الإدارية ، ص 289 .

صودروا مرتين، و أن مجموع المبالغ المصادرة هذه قد بلغ أكثر من ثمانية ملايين دينار و هذال ما يعكس أهمية المصادرة كمورد أساسي للخزينة[1].

و مع أن المصادرات قد سببت ارتباكا في إدارة الدولة، إلا أنها قد ساهمت بالفائدة أيضا حيث منعت تكدس الثروة المفرطة لدى بعض الأشخاص و قللت من التباين الاقتصادي، و عمل ذهاب أموال المصادرة للخزينة على إعادة توزيعها على الموظفين في الرواتب من جهة، و استفادة الشعب منها عن طريق بعض الخدمات التي تقدمها الدولة لهم، كما أنها مثلث موردا مهما من موارد بيت المال[2].

و قد أنشئ ديوان المصادرين للإشراف على استيفاء أموال المصادرات التي كانت تقرر بعد أن يتعهد الأشخاص المصادرون بدفعها و قد جرت العادة على أن تودع خطوط المصادرين و الكفالات و ضمانات الضمنان في خزائن الوزراء[3].

و قد خرج عن هذا التقليد الوزير علي بن عيسى، لما أودعها عند صاحب ديوان المصادرات فاستغرب ابن الفرات عند وزارته الثالثة لما ناقش علي بن عيسى عن هذا التصرف و قال: " ما سبقك أحد إلى تسليم خطوط المصادرين إلى صاحب ديوان المصادرات، لأن سبيل الخطوط أن تكون في خزائن ديوان الوزراء محفوظة يتسلمها وزير بعد وزير" فأجابه الوزير علي بن عيسى بأنه عمل ذلك رغبة في عمارة الديوان[4].

---

[1]/ المصدر السابق ، ص 44 .

[2]/ الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص 299 .

[3]/ السامرائي ، المؤسسات الإدارية ، ص 290

[4]/ مسكويه، المصدر السابق ، ج5 ، ص 87 ، 88 .

فرد ابن الفرات عليه: " إن كنت أردت عمارة الديوان فكان ينبغي أن تأخذ الخطوط على نسختين، نسخة للديوان، و نسخة تكون عندك فلو باع صاحب الديوان رقاع المصادرين و الكفالات و ضمانات الضمناء، هل كان على السلطان مصر، في هذا المال أعظم منك؟[1].

كما أن أموال المصادرة كان يجري استلهاما من ديوان المصادرة[2]فإنها كانت توجه إلى أحد بيتي الأموال الخاصة و العامة حسب رأي الخليفة أو الوزير لحفظها فيه. و لم يخرج عن هذا إلا ابن الفرات في وزارته الأولى كما أنه كان صاحب الديوان المصادرين من المقربين إلى الوزير و ممن كان يثق بهم، فكانوا يتغيرون بتغير الوزير، و قد جرت مصادرتهم أحيانا فمثلا كان المحسن بن الوزير أبي الحسن بن الفرات يتولى ديوان المصادرين في وزارة أبيه[3].

و أخيرا فان المصادرات زادت من الاضطراب الإداري و المالي و السياسي للدولة، حيث أصبحت سياسة ثابتة يعتمد عليها الخليفة فكان الوزير يعلم بأنه يستعرض للمصادرة بعد عزله فيعمل على جمع المال أثناء تقلده المنصب[4].

ثالثا: فرض الضرائب :

حيث رأى بعض الخلفاء في فرض الضرائب التعسفية الحل لمعالجة العجز المالي لبيت المال، و من هذه الضرائب ضريبة الإرث[5] و قد بوشرت جبايتها بعد منتصف

1/ مسكويه، المصدر السابق ، ج9 ، ص 88 .

2/ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص 297 .

3/ الصابئ ، المصدر السابق ، ص 332 .

4/ الزهراني ، المرجع السابق ، ص 197 و 245 .

5/ ضريبة الإرث: هي ما يأخذ من مواريث من يموت و لا يخلف وارثا من الأموال الشرعية التي تضم إلى بيت المال و تسمى بالأموال الحشرية. قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، تح: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد ،1981 ، ص 245 .

القرن 3 ه في خلافة المعتمد لـ 256ه – 279ه[1] فلما تولى الخليفة المعتضد بالله (279ه –289 ه) أصدر أوامر بالتخلص منها و من ديوانها و أمر برد سهام المواريث إلى ذوي الأرحام، و ذلك في سنة 283ه[2].

و قد جباها الخليفة المعتضد من سنة 279 ه إلى سنة 283 ه و ذلك في وقت الأزمة المالية، و عندما تحسنت الأوضاع المالية قام بإلغائها و استمر ذلك حتى عهد الخليفة المقتدر 295 ه – 320 ه[3].

إلا أنه في سنة 300ه أمر المقتدر برفع مطالبة المواريث عن الناس، و أن يورث ذوو الأرحام إلا أن الخليفة قد أعاد هذه الضريبة مرة أخرى خلال وازة حامد بن العباس سنة 311ه ثم ألغيت في نفس السنة من العشرين من شهر رجب و استمر هذه الإلغاء إلى ما تيقن من خلافة المقتدر[4].

و من الضرائب التعسفية التي أسقطها الوزير علي بن عيسى في وزارته الأولى 301ه هي المكوس[5]الثقيلة التي كانت تجبي بمكة المكرمة و حصن مهدي و نهر السدرة[6] و قد قدرت مبالغها بنصف مليون دينار في السنة، و كذلك أمر بإلغاء مال التكملة[7] بفارس

---

[1]/ الصابئ، المصدر السابق ، ص 289 .

[2]/ الطبري ، المصدر السابق ، ج10 ، ص 44 .

[3]/ الزهراني ، المرجع السابق ، ص 197 و 245 .

[4]/ الكبسي ، المرجع السابق ، ص 2 و 5 و 265 .

[5]/ المكوس: و المكس ضريبة تؤخذ من التجار في المراقد، الخوارزمي ، المصدر السابق ، ص 40 .

[6]/ الصابئ ، المصدر السابق ، ص 310 .

[7]/ مال التكملة : لما غلب السجزية (اسم لسجستان) على فارس جلا قوم من أصحاب الخراج عن أرضهم لسوء المعاملة ففرق خراجهم على الباقين. و لم تزل هذه التكملة تستوفي على الزيادة و النقصان في أمر الوزير علي بن عيسى بإلغائها المصدر نفسه ، ص 366 ، 367 .

و جباية الخمور بديار بكر، و عندما ألغيت أموال التكملة، فرضت ضريبة على الأشجار المثمرة[1].

و في أواخر القرن الثالث الهجري ظهرت ضريبة جديدة عرفت باسم مال الجهبذة[2] و أمر الوزير علي بن عيسى بإلغائها في وزارته الأولى للمقتدر فكانت بلاء على الناس و كانت أموال الجهبذة تؤخذ مما بقي عليه مال من مال الخراج، و المال الذي غاب أهله عنه سمي بأموال الكسور[3]، و قد استمرت هذه الضريبة حتى سنة 315ه ثم زالت[4] و قد حاول الموفق قائد جيش المعتمد من فرض ضرائب جديدة على التجار لحاجة الجيش للأموال لمحاربة الزنج، إلا أن الوزير الحسن بن المخلد رفض لما فيه من تعسف و ارهاق على التجار[5].

و فرضت هذه الضرائب لسد العجز المالي لكنها كانت مرهقة و ما صاحبها من تعسف في طرق تحصيلها و كثيرا ما حاول الخليفة و الوزير لإنقاذ دافعي الضرائب، و كانت الدولة تضطر إلى جباية الضرائب قبل موعدها نظرا لحاجتها للأموال[6].

رابعا : الاهتمام بالقطاع الزراعي :

لما فكر الخلفاء في معالجة الوضع المالي اهتموا بالزراعة و المزارعين، حيث أمر الخليفة المهتدي سنة 255ه بإسقاط أموال الكسور، عن المزارعين مما خفف عنهم لأنها

---

[1]/ الصابي ، المصدر نفسه ، ص 366 ، 368 .

[2]/ الجبهذة: ديوان الصيرفة، و الجهبذ: الصيرفي، قدامة بن جعفر، المصدر السابق ، ص 62 .

[3]/ الكسور : المال المنكسر الذي لا يطمع في استخراجه لغيبة أهله، أو موتهم، و غيره، الخوارزمي ، المصدر السابق ص 40 .

[4]/ قدامة بن جعفر ، المصدر السابق ، ص 62

[5]/ الزهراني، المرجع السابق ، ص ص 197 – 245 .

[6]/ الصابي، المصدر السابق ، ص 23 ، 239 و 249 ، 251 .

كانت تصل إلى مبلغ 12 مليون سنويا[1]، ثم تلاه الخليفة المعتمد بعد أن تمكن الموفق من القضاء، على الزنج، فقد طالب الخليفة جميع المزارعين و أهل القرى الهاربين من الرجوع إلى مزارعهم و قراهم لتعميرها و قدم لهم سلفا مالية مجزية و قدم لهم أيضا البذور و الحيوانات اللازمة للزراعة[2].

فقد قام بكري نهر لمزارعي ناحية المبارك في شمال واسط و أنفق عليه مبلغ 20.000 دينار، و قدم لأهل هذه الناحية مبلغ 10.000 دينار لشراء الأبقار و البذور كما قدم لأهل السيب الأسفل مبلغ 10.000 لمنع الثلوج من الانزلاق على المزارع[3].

و اهتم الخليفة المعتضد بالزراعة، فأصلح نظام الري، و حفر القنوات[4] حتى أنفق على كري نهر بأحد روافد دجلة مبلغ 4.000 دينار، و كان يرسل المهندسين لتسهيل توزيع المياه بين المزارعين[5].

و قام بتغيير موعد جباية الخراج من أول نيروز العجم إلى الحادي عشر من حزيران و سمي ذلك بالنيروز المعتضدي ليتفق ذلك مع موعد نضج الزروع، و اهتم بحماية المزارعين من بطش الجباة و غيرهم من عمال الخراج[6].

و سار الخليفة المكتفي بالله على نهج سياسة المعتضد بالله، فاهتم بالزراعة مما حافظ على الوضع المالي للدولة، أما الخليفة المقتدر فكان عصره ما بين الاهتمام

1/ التنوخي ، أبي علي المحسن بن علي ، نشوار المحاضرة و أخبار المذاكرة، ط2، تح : عبود الشالجي، دار صادر، بيروت ، 1995 ، ج8 ، ص 154 .

2/ المصدر نفسه ، ص 145 .

3/ المصدر نفسه ، ص 117 .

4/ فوزي أمين يحي ، فتحي سالم حميدة ، المرجع السابق ،ج2 ، ص 19 .

5/ الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص 72 .

6/ الطبري ، المصدر السابق ، ج10 ، ص 39 .

بالمزارعين و عدمه حيث اهتم وزيره علي بن عيسى بكري الأنهار و سد البثوق و دفع مبلغ 90.000 دينار لكري أنهار مدينة واسط، و لشراء البذور و الدواب[1].

و قد دفع مبلغ 250.000 دينار لسد البثوق المنتشرة في الدولة، و أنفق علي بن عيسى مبلغ 700.000 درهم لإصلاح بثق انبثق في نهر أبي الأسود المتفرع من نهر الملك[2] و كان علي بن عيسى أكثر وزراء المقتدر عناية بالزراعة و المزارعين فقد كتب منشورا الى عماله يوصيهم فيه بإنصاف الرعية و العدل في أمورها و أحوالها، على أن تؤخذ منهم الضرائب، و يأمرهم فيها بعمارة الأرض الزراعية[3].

خامسا : الاستعانة ببيت المال الخاصة :

إن تدهور الأوضاع الاقتصادية في الدولة العباسية و تفاقم الأزمات المالية أدى إلى تحويل بيت المال الخاصة و هو الذي تحمل إليه الأموال من أملاك الخلفاء و حاشيتهم و تنفق في نفقاتهم و تسد حاجياتهم إلى إجبار المسؤولين بالاعتماد على مال الخليفة و الحصول من بيت المال الخاصة على الأموال المطلوبة لدفع الرواتب و سد احتياجات الدولة[4].

فكان هذا بمثابة الحل لسد العجز المالي الحاصل في بيت مال العامة و لإسكات شغب الجند و مطالبتهم بأرزاقهم فقد وجه الخليفة المعتمد كافة أمواله و الواردات أثناء حروبه ضد الزنج في المدينة التي أسماها الموفقية[5].

---

[1]/ الصابي، المصدر السابق ، ص 40 .

[2]/ الزهراني ، المرجع السابق ، ص 197 و 245 .

[3]/ الصابي ، المصدر السابق ، ص 336 ، 338 .

[4]/ الزهراني ، المرجع السابق ، ص 197 و 245 .

[5]/ المرجع نفسه ، ص 197 و 245 .

و عندما عجز بيت المال عن صرف النفقات في عهد المعتضد اضطر الوزير عبيد الله بن سليمان إلى الاقتراض من بيت مال الخاصة مبلغ 200.000 دينار، و عندما توفي الخليفة المكتفي ترك في بيت المال الخاصة 15.000.000 دينار، ففرقها المقتدر جميعها في يوم الذي بويع بالخلافة بين الجند و أصحابه و حاشية و خدمه[1].

و قد حول وزير المقتدر الخاقاني 299هـ من بيت المال الخاصة إلى بيت المال العامة مبلغ 1.600.000دينار[2]، و في وزارة الخاقاني كذلك ضاقت الأموال على الجند و القادة، فشغبوا فطالبه المقتدر بإطلاق أرزاقهم، فاعتذر بقلة الأموال، فأمر المقتدر بإخراج خمسمائة ألف دينار من بيت مال الخاصة لتنفق في الجند المشاغبين[3]، إلا أن المقتدر لم يلبي جميع احتياجات الوزير الخاقاني فرفض أن يعطيه من بيت المال الخاصة ما يصرفه في نفقات العيد[4].

و في عام 312 شغب الجند مطالبين بأرزاقهم، فأمر الخليفة بإخراج 300.000 دينار من بيت مال الخاصة لتوزع عليهم[5]، و في عام 315 ساهم بيت المال الخاصة في مكافحة القرمطي لما عجز القادة عن تموين الجيش، فأرسل المقتدر مبلغ 570.000 دينار من بيت مال الخاصة. و قد اتخذ بيت المال الخاصة طريقة لسد العجز المالي للدولة العباسية[6].

1/ الصابي ، المصدر السابق ، ص 207 .

2/ المصدر نفسه ، ص 207 .

3/ مسكويه ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 79، 80 .

4/ الصابي ، المصدر السابق ، ص 34 .

5/ مسكويه، المصدر السابق ، ج5 ، ص 80 .

6/ الطبري ، المصدر السابق ، ج11 ، ص 118 .

سادسا : بيع الضياع و المتاع :

و لمواجهة الأزمات الاقتصادية اضطر الخلفاء و الوزراء إلي بيع المتاع و الضياع و سك الأواني الذهبية و الفضية و تحويلها إلى عملة نقدية، لكي يتم سد بعض احتياجات الدولة[1].

و قد قام الخليفة المستعين بالله 248هـ – 252هـ سبك أواني الذهب و الفضة، و حولها إلى عملة لكي يقوم بالصرف على رواتب الجند الأتراك و هذا أيضا ما واجهه الخليفة المهتدي نفس المشكلة المالية فأمر بضرب آنية الذهب و الفضة من الخزائن و تحويلها إلى دنانير و دراهم[2].

و في عهد الخليفة المقتدر تفاقمت الأزمة المالية مما اضطره إلى بيع غلال بعض الوزراء، و تدخله في فك أزمات غلاء الأسعار، و بيع بعض الأملاك الخاصة، ففي عام 307هـ ارتفعت الأسعار، و ثار العلامة فكسروا المنابر و أحرقوا الجسور، فاستدعى المقتدر حامد الوزير ليبيع الغلات التي له ببغداد، فتم بيعها و رخصت الأسعار، و عاودت الأزمة سنة 309هـ و تم فكها عن طريق مدينة واسط التي كانت تعج بمخازن الغلال و الدقيق[3].

أما فيما يتعلق بيع الأملاك السلطانية، و استرجاع الاقطاعات فقد حدث في عهد الخليفة المعتمد على الله 256هـ – 279هـ لما اشتدت الضائقة المالية أثناء حرب الزنج طالب الخليفة الناس برد الاقطاعات التي كانت لهم أما التي جرى التصرف فيها فقد سقطت

1/ الطبري ، المصدر السابق ، ج9 ، ص 283 .

2/ الزهراني ، المرجع السابق ، ص 197 و 245 .

3/ الطبري ، المصدر السابق ، ج11 ، ص 77 ، 78 .

أثمانهم عليهم[1].

و في عهد الخليفة المقتدر أمر بإرجاع ما أقطعه للناس من الأموال و الضياع و المستغلات، و حدث ذلك سنة 317 و بعد حركة الإطاحة بالخليفة ثم الرجوع مرة أخرى قام ببيع بعض الضياع السلطانية، و بيع أثاثه و مجوهراته الثمينة لكي يدفع الأموال للجند من أجل البيعة[2].

و استمر بيع أملاك الخليفة فكان الوزير يلجأ إلى بيع بعضها عندما يعجز عن توفير الأموال لسد نفقات الدولة و احتياجاتها، ففي سنة 317هـ قام الوزير ابن مقلة ببيع من أملاك الخليفة، و ذلك حين اشتدت عليه الضائقة المالية، و في سنة 319هـ باع الوزير الحسين بن قاسم أملاكا سلطانية بمبلغ 500.000 دينار و في سنة 320هـ أيضا بيعت ضياع بمبلغ 500.000 دينار[3].

سابعا : إنشاء مصرف رسمي :

أول من أنشأ مصرف رسمي الوزير علي بن عيسى في وزارته الأولى للمقتدر

(300-304هـ) فقد اضطرته الحالة المالية المتدهورة إلى أن يدفع بالجهذبيين اليهوديين و هما: هارون بن عمران و يوسف بن فنحاس، إلى تأسيس مصرف للدولة، و كان الجهابذة في الأصل كتاب خراج و تجارا، ثم انتقلوا إلى أصحاب بيوت مالية، فقد تم تعيين يوسف بن فنحاس جهبذا لمنطقة الأهواز بأمر من الوزير ابن الفرات في وزارته الأولى 296هـ – 299هـ و بسبب ذلك احتياج الوزير إلى النقود لدفع رواتب بعض الكتاب فاستجاب الجهبذ

1/ الزهراني ، المرجع السابق، ص 197 و 245 .

2/ مسكويه، المصدر السابق ،ج5، ص 109 ، 110 .

3/ الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص 46 .

إلى دفع راتب شهر معجلا بعد مناظرة أراد الوزير من خلالها تعجيل راتب شهرين[1].

و كان غاية هذا الإجراء بتعيين التاجر جهبذا هي حاجة الدولة إلى المال قبل موعد الجباية فيقوم الجهبذ بالتسليف ثم يستوفي أمواله بعدئذ من ضرائب الأهواز[2].

أما كيفية إنشاء المصرف الرسمي للدولة، فان الوزير علي بن عيسى عندما استدعى الجهبذ بين و قال لهما: إني أحتاج في كل هلال إلى مال أدفعه في ستة أيام من ذلك الشهر[3].

أما عن كيفية نشأة المصرف الرسمي للدولة، فان الوزير علي بن عيسى عندما استدعى الجهبذين، و قال لهما: إني احتاج في كل هلال إلى مال أدفعه في ستة أيام من ذلك الشهر إلى الرجالة و مبلغه ثلاثون دينارا، و ربما لم يتجه في أول يوم من الشهر و لا الثاني، و أريد أن تسلفاني في أول كل شهر، فان جهبذة الأموال إليكما فيكون هذا المال سلفا لكما واقفا أبدا.. و لم يزل هذا الرسم يجري على يوسف بن فنحاس، و هارون بن عمران و من قام مقامهما مدة ستة عشر سنة و بعد وفاتهما لأنهما ما صرفا إلى أن ماتا"[4].

و استمر المصرف إلى سنة 316ھ كما أن مهمته الرئيسية كانت تسليف الدولة ما تحتاج من النقود مع الاعتماد على وارد الأهواز كضمان، كما أن العملية كانت تجري بصفة دقيقة جدا[5].

1/ الصابي، المصدر السابق ، ص 178 .

2/ الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص 186 .

3/ التنوخي ، المصدر السابق، ج8 ، ص 25 ، 26 .

4/ المصدر نفسه ، ص 25 ، 26 .

5/ الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي، ص 118 .

المبحث الثالث : ظهور فئة الشطار و العيارون :

كانت الأوضاع داخل الإمبراطورية العباسية في عهدها الثاني 232هـ-334هـ مضطربة و غير متوازنة البتة، إذ عانت الدولة العباسية و بالخصوص عاصمتها بغداد بسبب كثرة الصراعات الداخلية و المشكلات و الفتن كنزاع المعز و المستعين و انتشار الفساد و البذخ و نتيجة التفاوت الاقتصادي أيضا، إضافة إلى شغب الجند من أجل زيادة أعطياتهم و دخول العنصر التركي أيضا و الديلم[1] إلى ساحة الخلافة.

كل هذه الظروف أدت إلى الظهور التلقائي لحركة الشطار[2] و العيارون[3] و استفحال أمرهم و زيادة شغبهم من خلال الثورات التي أحدثوها داخل الدولة العباسية، فهم عبارة عن تكتل اجتماعي ظهر في نهاية القرن الثاني للهجرة[4]و فئة فقيرة ذو طبقة العامة المحرومة[5]،حيث ظهر في فارس و العراق، و غيرها، ثم تلاهم الحرافيش و الزعار و العياق و الفتوات بمصر[6].

و كانت بداية ظهور حركة الشطار و العيارين منذ أحداث الصراع بين الأمين

[1]/ الديلم : هي جبال مطلة على بحر الخزر (بحر القزوين) يحدها من الجنوب قزوين و بعض أذربيجان و من الشمال بحر الخزر و من الشرق قومس ومن الغرب أذربيجان و أهل الديلم صنفان سكان الجبال و سكان السهول، و من توابعها الري و قزوين، جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، القاهرة، 2012، ج2، ص 50 .

[2]/ الشاطر : هو الذي أعيا أهله خبثا و قد شطر يشطر بالضم شطارة، الرازي، المصدر السابق ، ص 142 .

[3]/ العيار : هو رجل عيار أي كثير التطواف و الحركة ذكي، المصدر نفسه ، ص 194 .

[4]/ حسين حمد حسين الفقيه، " الشطار و العيارين في الدولة العباسية"، كلية الآداب، جامعة فاريونس،ليبيا ، ع15 (2012)، ص 116 و 121 .

[5]/ محمد نجيب بوطالب ، الصراع الاجتماعي في المجتمع العربي الإسلامي، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر، إشراف عبد الكريم الباقي، في علم الاجتماع، جامعة دمشق ، مكة المكرمة ، ص 214 .

[6]/ حسين حمد حسين الفقيه ، المرجع السابق، ص 116 و 121 .

و المأمون[1] 197هـ و ذلك حين هبوا بتنظيم شبه عسكري وزعوا على أساس أن لكل عشرة منهم عريف و لكل عشرة عرفاء نقيب و لكل عشرة نقباء قائد و لكل عشرة قواد أمير للدفاع عن مدينة بغداد ضد الجيش الخراساني[2].

إذ كانوا يسمون بالفتيان و يقولون الفتى لا يزني و لا يكذب و يحفظ الحرم و لا يهتك ستر امرأة، و مع هذا لا يستحون من أخذ أموال الناس عن طريق اللصوصية و النهب و السرقة بل يسمون طريقتهم هذه بالفتوة[3].

و بعد ظهور الشطار و العيارون للمرة الأولى في فتنة الأمين و المأمون على شكل جماعات مسلحة، عادوا من جديد في نزاع المعز و المستعين سنة 251هـ كجماعات كبيرة منظمة لحصار بغداد[4].

تسلطوا على بغداد، فنهبوا سكانها و قاموا بتعيين عريف في كل محلة و أن يكون على كل تسعة عريف و على كل خمسين خليفة و على كل مائة قائد[5].

و لقد عرف عنهم العديد من التسميات المختلفة التي أطلقها عليهم المؤرخون فان المراد واحد، و الفارق الوحيد الجدير بالاهتمام و الذكر هي التسمية فقط، الشطار العيارون الصعاليك، اللصوص، المتمردين، الحراقيش، الزعار[6]، العيار و أهل الذعارة و السرقة ، العرات ، الأوباش، الطرارين، السفلة ، الفجرة و غيرهم[7].

---

[1]/ محمد رجب النجار، الشطار و العيارين حكايات في التراث العربي، عالم المعرفة، الكويت ، 1990، ص 14 .

[2]/ محمد سعيد رضا، "حركة العيارين و الشطار العنف المدني في المجتمع العباسي خلال القرن الرابع للهجرة، " ع10 (2000)، ص 47 و 63 .

[3]/ ابن الجوزي ، تلبيس إبليس، دار القلم، بيروت ، 1983 ، ص 380 .

[4]/ محمد نجيب بوطالب ، المرجع السابق ، ص 214 .

[5]/ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج6، ص 278 .

[6]/ إسماعيل محمد علي جاموس الجبوري، " حركة العيارين و الشطار في العصر السلجوقي (447 – 590هـ / 1055 - 1193م)"، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، م 15 ، ع2 (2020)، ص 325 و 343 .

[7]/ محمد نجيب بوطالب ، المرجع السابق ، ص 216 .

و كان لهذه الفئة من الشطار و العيارين بواعث و محركات أساسية أدت بهم لمثل هذه الأفعال، فلم تكن أفعالهم هذه محضى الصدفة بل هذا راجع إلى الاختلال الإقتصادي الذي عانت منه الخلافة العباسية جراء الحروب و الثورات التي شهدتها فالحياة الإقتصادية لم تكن سليمة كل السلامة و لا مستقيمة كل الاستقامة، ناهيك عن تهميش معظم الخلفاء و الوزراء القائمين على زمام الحكم لأمورهم الإجتماعية منصرفين للهو و الترف و حياة الملذات[1].

و كانوا يستغلون الاضطرابات السياسية و الدينية للقيام بأعمالهم الفوضوية و خاصة في أثناء الأزمات الاقتصادية التي كانت تمر بها الدولة و قد كان للظروف الصعبة التي عاشها هؤلاء بسبب تمردهم على الدولة العباسية و المجتمع حيث اتجهوا لمنهة التنصص بسبب تدني مستواهم الاجتماعي و الاقتصادي اذ اتجهوا للنهب و السرقة أهل اليسار و التجار[2].

و قد اعتمد عليهم المستعين ليصد بهم عن بغداد هجمات الأتراك المبايعين للمعتز في سامراء و كان لهم عريف يقال له بنتويه، كما استعان بهم أيضا الخليفة المهتدي في حربه ضد الأتراك سنة 256هـ، و قد ازدادت أعمالهم بمرور الأيام و ضعف الحكومات حتى صاروا ظاهرة فرضت نفسها على المجتمع العراقي[3]، و ظلت مستمرة لتثبت وجودها، فعندما انتصر ابن رائق علي يحكم سنة 327هـ، فوض قوما من العيارون أعطاهم دينارا دينارا و ملك العيارين البلد إذ كان عددهم حوالي خمسين ألفا[4].

---

[1]/ إسراء طارق كامل، "المفارقة الدينية و الأخلاقية في أدب العيارين و الشطار العصر العباسي نموذجا"، العلوم الانسانية و المسألة الدينية الجلسة العلمية3، كلية الآداب، ص 313 و 326 .

[2]/ إسماعيل محمد علي جاموس الجبوري، المرجع السابق ،ص 325 و 343 .

[3]/ محمد سعيد رضا، المرجع السابق ، ص 47 و 63.

[4]/ الدوري، مقدمة في التاريخ الإقتصادي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2007 ، ص 62 .

و طبيعي أن تتعرض حركتهم هذه لسوء الفهم، و أن يشار إليهم بأنهم أوباش و رعاع واعرة و باعة الطرق و أهل زعارة، إلا أننا نرى في وضعهم و في استمرار حركتهم أنهم يمثلون حركة اجتماعية ثورية بين العامة نتيجة التباين الإقتصادي و سوء المعيشة للعامة[1].

فهم أولئك الطبقة الفقيرة و العاطلة عن العمل الذين طعنهم الفقر و كانوا ضحية له و سوء تدبير الحكام و غياب القانون، حيث كانت حركة الشطار العيارون تنهب في أغلب فعالياتها على مهاجمة التجار و الاستيلاء على أموال الأغنياء، فاستخدمت طرق الاحتيال و القوة و قطع الطريق و إثارة الفوضى في الأسواق[2].

و لا شك أن تمردهم هذا و سيطرتهم على التجارة أثر تأثيرا كبيرا على ردودها فقد كونوا فرقا مسلحة تهاجم القوافل و تجبي منها الأموال، ثم يقومون بتوزيع ذلك على أتباعهم، إذ يعتبر هذا مصدر رزقهم الوحيد في الحياة[3].

كما كانوا يلقبون أنفسهم كما ذكرنا سالفا بالفتوة[4]و كان تعبير الفتى شائعا بينهم حيث قال الشاعر الأعمى " و يقول الفتى إذا طعن الطعنة خذها من الفتى العيار[5].

و يبدو أن الفتيان كان لهم في كل مدينة رئيس، و أن حركة الفتوة لم تقتصر على

1/ الدوري ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي، ص 63 .

2/ محمد نجيب بوطالب، المرجع السابق، ص 216 -217 .

3/ المرجع نفسه ، ص 218 .

4/ ابن الجوزي ، تلبيس إبليس ، ص 380 .

5/ الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص 109 .

بغداد و البصرة[1] فقط بل انتشرت إلى مدن أخرى[2]، و قد كان التجار محل طمع الشطار و العيارين أكثر من أصحاب الحرف، فقد تعرض التجار لنقمة الحنابلة الذين طرحوا النيران في محلات الكرخ سنة 323هـ، فأدى ذلك إلى احتراق 48 صفا فيها، ثم وقع حريق آخر احترق فيه الحدادون و الصيارف و العطارون، و قد تتبع قطاع الطرق التجار و أخذوا منهم أموالهم و طمع فيهم اللصوص فأخذوا يكسبونهم في بيوتهم و محلاتهم، حتى اضطروا إلى تخبئة أموالهم[3].

و بالغوا في تخبئتهم لأموالهم، حيث يقال أن هناك رجل أخبئ ماله في برنية مبلغ ثلاثة آلاف دينار عينا و حضر لها في عرض حائط، فلما جاءه اللصوص نهبوه و ذهبوا[4].

فلم يخلف إلا الدمار و الهلاك لأهلها بسبب التفاوت الاقتصادي الذي أدى إلى قلق اجتماعي و قيام حركات اجتماعية و العديد من الثورات[5].

فحركة العيارون لم تهدأ بعد تنازل المستعين فقد اغتنموا فرصة شغب الجند من أجل الحصول على رواتبهم فانضم العيارون إليهم و منعوا الخطبة للمعتز و تحرك عامة الجانب الغربي و انتبهوا مراكز الإدارة فأمر ابن طاهر بإحراق الدكاكين التي على باب

---

[1]/ البصرة : و هما بصرتان العظمى بالعراق و الأخرى بالمغرب، البصرة طولها أربع و سبعون درجة و عرضها إحدى و ثلاثون درجة، و هي الإقليم الثالث . الحموي، المصدر السابق ، ج1 ، ص 430.

[2]/ الدوري ، تاريخ العراق ، ص 110 .

[3]/ فهمي سعد ، المرجع السابق ، ص 52 .

[4]/ التنوخي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 342 .

[5]/ الدوري ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي ، ص 59.

الجسر تأديبا لأصحابها من التجار و العامة الذين ناصروا الجنود[1].

و استعان أيضا كاتب بغداد ابن شير زاد 331هـ – 334هـ بالعيار ابن حمدي البغدادي 332هـ حيث أجل أن يعرف به اللصوص و هو رأسهم مقابل حمايته و أن يوصله ابن حمدي كل يوم بمبلغ من المال اشترطه ابن شير زاد[2].

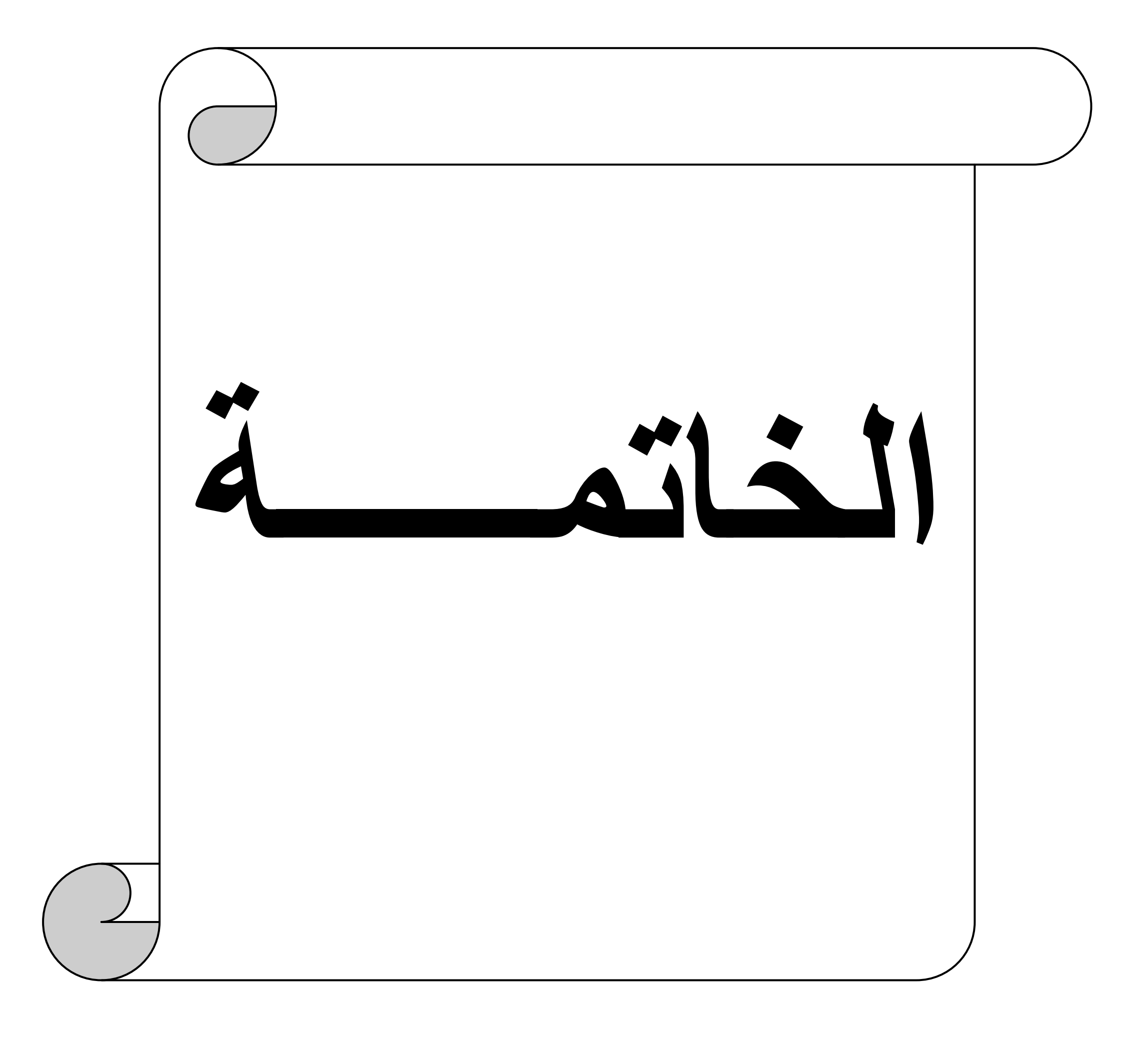
و كان لهؤلاء الصعاليك فضيلة يتماشون بها ، و هي أنهم كانوا يأخذون ما يأخذون في عزة نفس و إباء و علما منهم بأن هذا حق من حقوقهم لا إحسان يصيبهم، أي أنهم يرون في لصوصيتهم هاته أمر مشروع و مباح لا عقاب عليه[3].

---

[1]/ فهمي سعد ، المرجع السابق ، ص 441 .

[2]/ محمد سعيد رضا ، المرجع السابق ، ص 47 و 63 .

[3]/ أحمد أمين ، الصعلكة و الفتوى في الإسلام ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، مصر ، 1951 ، ص 57 .


الخاتمـــــة

الخاتمة

و من خلال هذه الدراسة يمكن استخلاص النتائج الآتية :

* تميزت الأحداث السياسية في الدولة العباسية خلال عصرها الثاني بالفوضى و الفتن و الثورات و أزمات اقتصادية خانقة مما أثرت على مختلف جوانب الحياة السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الإدارية و غيرها.

* أن العصر العباسي الثاني هو عصر سيطرة الأتراك و امتداد نفوذهم و تدهور أوضاع الخلافة و انحطاطها .

* أصبح الأتراك قوة عظيمة في الدولة، فقد سيطروا على الحكم و الإدارة و الخلفاء و الوزارة و أصبحوا يعينون الخلفاء و يعزلونهم، بل و وصل بهم الأمر إلى قتل الخلفاء و تعذيبهم و سملهم و أصبحوا هم أهل الحل و العقد .

* إن ضعف الخلفاء و انغماس بعضهم في اللهو و الترف ساهم في ازدياد نفوذ الأتراك و تدخلهم في الحكم، غير أن هناك من الخلفاء من حاول التخلص من سيطرتهم إلا أنهم تخلصوا من الخلفاء قبلهم .

* أدت فترة الفوضى و الاضطراب في الدولة العباسية إلى انفصال بعض الولايات عنها و اللامركزية في الحكم و انهيار اقتصادها و ضعف خلفائها و وزرائها.

* ظهور منصب إمرة الأمراء لمحاولة إصلاح الوضع و التخلص من فساد الوزراء إلا أنه قد زاد الطين بلة، فقد كثرت المشاكل و الفوضى و ازداد التنافس للحصول على هذا المنصب حتى انتهى بسيطرة البويهيين على الحكم .

* تعتبر ثورة الزنج و القرامطة بأنها ثورات ذات طابع اقتصادي كان هدفها هو تحسين أوضاعهم الاقتصادية المزرية و تحقيق العدالة الاجتماعية .

* إن الفساد الإداري و المالي كان ينبع من فساد الوزراء و سوء تسييرهم و قلة خبرتهم بالأمور الإدارية بالإضافة إلى توليهم هذا المنصب بالرشوة مما أثر على الادارة المالية للدولة و ذلك لاخفاقهم في تحسين الأوضاع الاقتصادية و تحقيق موارد مالية كافية لبيت المال .

* نستنتج أن من مظاهر انحطاط الخلافة في عصرها الثاني هو أن الأتراك هو طائفة من البدو و الرحل تميزوا بالمقاتلة و الشجاعة مما أساءوا التصرف في مجريات الأمور، فلم يكونوا على دراية بالأمور الإدارية و التحضر و هذا ما أدى إلى ضعف شؤون الخلافة و تدهورها عكس الفرس الذين كانوا أهل تحضر و تطور و نظم مما أصبح العصر العباسي الأول عصر قوة و ازدهار .

* إن حدوث الأزمات المالية كان بسبب سيطرة الأتراك على مجريات الأمور و تدخلهم في الحكم و سوء تسيير الوزراء للإدارة المالية للدولة و تفشي الرشوة و الفساد و الاختلاس بينهم

* إن ظهور الكوارث الطبيعية من جفاف و هبوب الرياح القوية و تراكم الثلوج و الزلازل و الجراد و الحرائق و غيرها أدى إلى الأضرار بالقطاع الزراعي حيث أتلفت الكثير من الأراضي و المزروعات و قلعت الأشجار و المغروسات و نفقت الحيوانات و الدواب .

* ان ظهور الكوارث الطبيعية تسبب أيضا في ظهور الأمراض و الأوبئة و التي أثرت على الجانب الاقتصادي ، حيث غلت الأسعار و جاع الناس و كثر الموت بين الناس و الحيوان

* أدت الأوضاع السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية في الدولة العباسية إلى ظهور عنصر جديد و هم الشطار و العيارون و تعتبر هذه الفئة وليدة التهميش الاجتماعي و السياسي و الاقتصادي و هي الطبقة الكادحة و الفقيرة في المجتمع، فقامت هذه الفئة ضد الدولة لتحسين أوضاعهم الاقتصادية و التخلص من الفقر و البؤس و العبودية، فقامت

بمحاربة الطبقة الغنية و القيام بأعمال السلب و النهب و السرقة و قطع الطرق بغية تحسين أوضاعهم الاقتصادية و الدفاع عن حقوقهم .

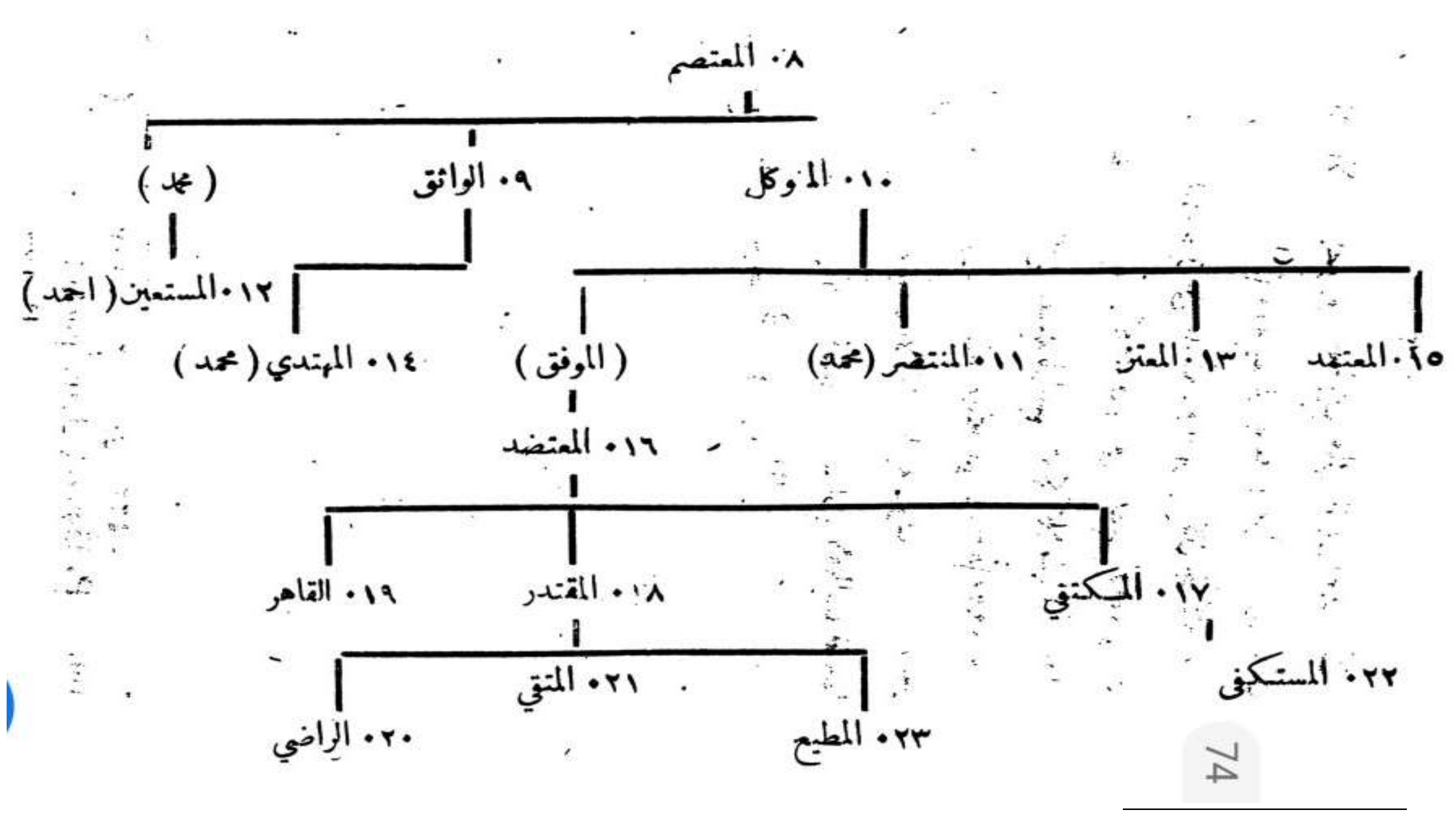
قائمة الملاحق

الملحق رقم (01) : خريطة توضح الدولة العباسية في مستهل العصر العباسي الثاني[1]



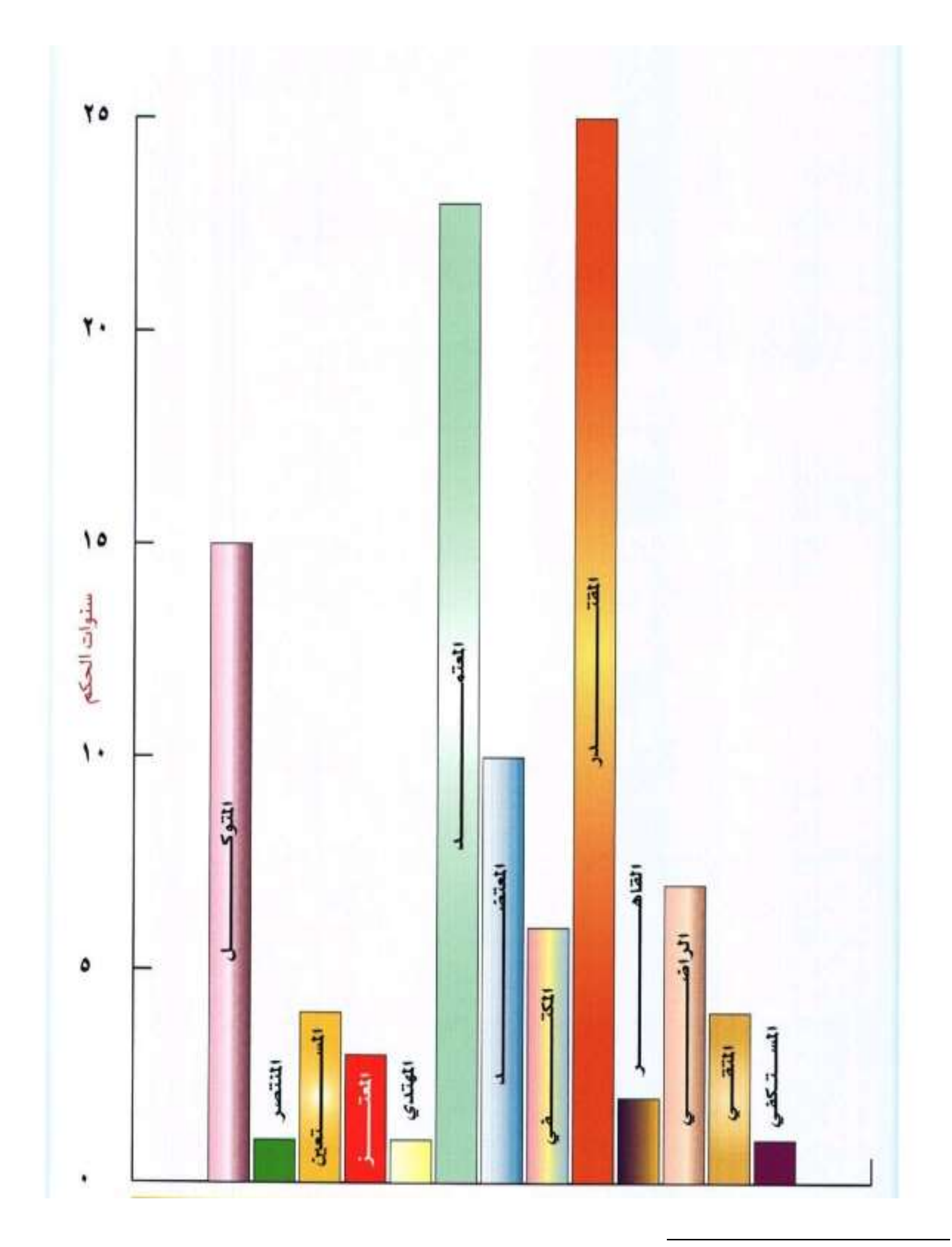
1/ الملغوث سامي عبد الله ، أطلس تاريخ الدولة العباسية ، الرياض ، 2012 ، ص 146 .

الملحق رقم (01) : مخطط يوضح تسلسل الخلفاء من 227 هـ – 334 هـ[1]



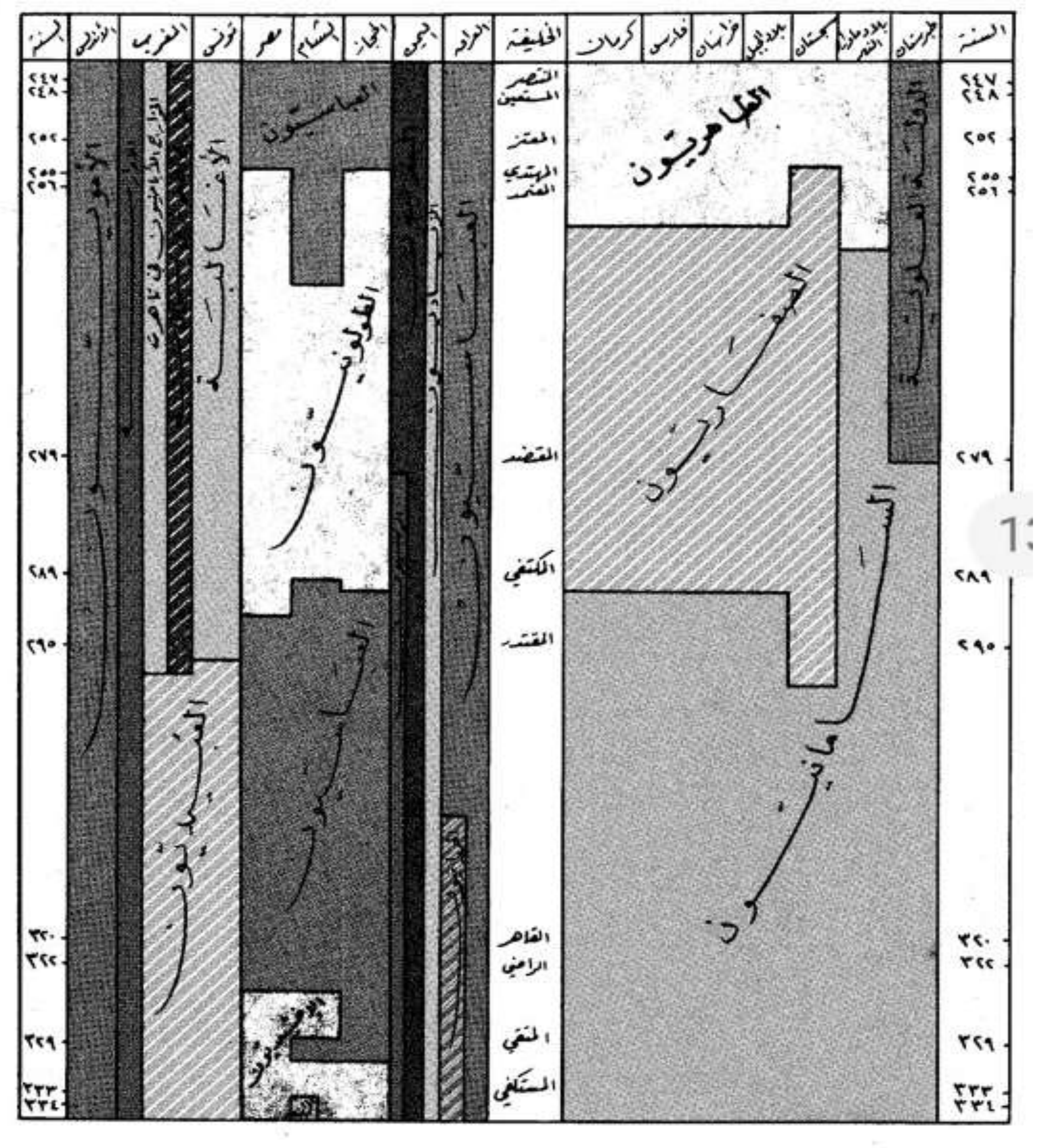
1/ الدوري ، دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، ص 74 .

الملحق رقم (03): الخلفاء العباسيون في العصر العباسي الثاني (عصر النفوذ التركي)[1]



[1]/ الملغوث سامي عبد الله ، المرجع السابق ، ص 155 .

الملحق رقم (04): مصفوفة زمنية للامارات السياسية في عهد القادة الأتراك خلال العصر العباسي الثاني[1]



[1]/ محمود شاكر ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 137 .

الملحق رقم (05): خريطة توضح ثورز الزنج 255ه – 270 ه[1]



1/ الملغوث سامي عبد الله ، المرجع السابق ، ص 171 .

قائمة

المصادر و المراجع

1/ قائمة المصادر :

1- ابن الأثير ، أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني الجزري الملقب بعز الدين (ت 630 ه)، الكامل في التاريخ ، مر: محمد يوسف الدقاق دار الكتب العلمية، بيروت ، 1987 .

2- الأزدي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن منصور ظافرين حسين (ت 613ه) أخبار الدول المنقطعة، تح: عصام مصطفى هزايمة و آخرون ، دار الكندي ، أريد، 1999 .

3- الاصطخري ، لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي (ت 346ه) المسالك و الممالك ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1927 .

4- التنوخي ، القاضي أبي علي المحسن بن علي (ت384)، نشوار المحاضرة و أخبار المذاكرة، تح: عبود الشالجي، دار صادر ، بيروت ، 1971 .

5- الثعالبي، أبي المنصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت 429ه)، تحفة الوزراء تح: حبيب علي الراوي، ابتسام مرهون الصفار، دار العربية للموسوعات ، بيروت، 2006 .

6- ابن الجوزي، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597ه)، المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم، تح: محمد عبد القادر عطا، مر: نعيم زرازور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992 .

7- (– –)،تلبيس إبليس، دار القلم، بيروت، 1403 ه .

8- (– –)، القرامطة، ط6، تح : محمد الصباغ ، المكتب الإسلامي، بيروت ، 1984 .

9- الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله ، (626)، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، 1977 .

10- الحميري ، عبد المنعم ، (ت 900هـ) ،الروض المعطار في أخبار الأقطار ، ط2، مؤسسة النشر للثقافة ، لبنان ، 1980.

11- ابن خلدون، عبد الرحمن (ت 808هـ)، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر.

12- (--)، المقدمة، مطبوعات و منشورات ، دار الشعب، القاهرة .

13- ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت681هـ)، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت .

14- الخوارزمي ، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف (ت387هـ)، مفاتيح العلوم، مطبعة الشروق ، مصر ، 1342 هـ.

15- الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ)، سير أعلام النبلاء ، ط11، تح: شعيب الأرنؤط ، مؤسسة الرسالة ، 1996 .

16- (--)، دول الإسلام ، تح : حسن إسماعيل مروى ، دار صادر ، بيروت ، 1999 .

17- الرازي ، محمد بن أبي عبد القادر (ت660هـ)، مختار الصحاح ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1986 .

18- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت 911هـ)، تاريخ الخلفاء ، دار ابن حزم ، بيروت ، 2003 .

19- الصابي ، أبي الحسن الهلال بن المحسن (ت 418هـ)، الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تح: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة الأعيان .

20- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أبيك (ت 764هـ)، الوافي بالوفيات، ط2، تح: محمد الحجيري، دار فرانز شتايز شتوتقارت ، بيروت ، 1991 .

21- الصولي ، أبي بكر محمد بن يحي (ت 335هـ) ، أخبار الراضي بالله و المتقي لله من كتاب الأوراق، ط2، تح : جهبوب ، د ن ، دار المسيرة ، بيروت ، 1979 .

22- الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ) تاريخ الطبري " تاريخ الرسل و الملوك"، ط4، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة 1976 .

23- ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت809هـ)، الفخري في الآداب السلطانية و الدول الإسلامية، دار صادر ، بيروت .

24- أبي عبيد، القاسم بن سلام (ت 224هـ) ، الأموال ، تح: أبو أنس سيد بن رجب ، دار الهدى النبوي ، مصر ، 2007 .

25- قدامة ، ابن جعفر أبو الفرج (ت 337هـ)، الخراج وضاعة الكتابة، تح : محمد الحسين الزبيدي ، دار الرشيد ، 1981 .

26- ابن الكازروني ، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي (ت 697هـ)، مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس ، تح: مصطفى جواد ، مطبعة الحكومة ، بغداد ، 1997 .

27- ابن كثير ، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن عمر (ت 774هـ)، البداية و النهاية، عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر، 1998.

28- الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت 450هـ)، قوانين الوزارة و سياسة الملك، تح: ردوان السيد ، دار طليعة ، بيروت، 1979 .

29- المسعودي ، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت 346هـ)، مروج الذهب و معادن الجوهر ، مر : كمال حسن المرعي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2005 .

30- (--)، التنبيه و الإشراف، مر: عبد الله إسماعيل الصادق ، مكتبة الشرق الإسلامية . 1938

31- ابن مسكويه، أبي علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت 461هـ)، تجارب الأمم و تعاقب الهمم ، تح: سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 2003 .

32- اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح (ت 384هـ) تاريخ اليعقوبي ، مطبعة العزى ، النجف .

33- أبي يوسف ، يعقوب بن إبراهيم (ت 182هـ)، الخراج، دار المعرفة ، بيروت ، . 19979

2/ قائمة المراجع :

1- إبراهيم ، أيوب ، التاريخ العباسي السياسي و الحضاري، دار الكتاب العالمي، بيروت ، . 1989

2- أمين ، أحمد ، الصعلكة و الفتوة في الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة . 2012

3- بيطار أمينة، تاريخ العصر العباسي، ط4، جامعة دمشق ، 1997 .

4- جرجي ، زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة القاهرة 2012

5- حسن ، إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي، ط14، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1996 .

6- حسن ، حسن إبراهيم ، حسن علي إبراهيم ، النظم الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية مصر ، 1939 .

7- الخضري بك ، محمد ، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ، تح: محمد العثماني ، دار القلم ، بيروت ، 1986 .

8- الدوري ، عبد العزيز ، دراسات في العصور العباسية المتآخرة ، شركة الرابطة ، بغداد ، 1945 .

9- (--) ، النظم الإسلامية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان ، 2008 .

10- (--)، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن 4هـ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت 1948 .

11- (--)، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت 2007 .

12- السالم، عبد العزيز ، دراسات في تاريخ العرب العصر العباسي الأول ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1993 .

13- السامر ، فيصل، ثورة الزنج ، ط2، دار المدى ، سوريا ، 2000 .

14- السامرائي ، حسام الدين، المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية خلال الفترة 247هـ 334هـ / 861 -945م ، ط2، دار الفكر العربي ، مكة المكرمة ، 1403 هـ .

15- شاكر ، محمود، الدولة العباسية " التاريخ الإسلامي"، ط6، المكتب الإسلامي بيروت . 2000

16- صقر ، نادية حسني ، مطلع العصر العباسي الثاني ، دار الشروق .

17- ضيف ، شوقي ، العصر العباسي الثاني ، ط2 ، دار المعارف ، مصر .

18- أبو طالب ، أسامة ، الدولة العباسية، دار البداية ، عمان ، 2014 .

19- طقوش ، محمد سهيل ، تاريخ الدولة العباسية ، ط7 ، دار النفائس ، لبنان ، 2009

20- عزام ، خالد ، العصر العباسي ، دار أسامة ، الأردن ، 2009 .

21- علبي ، أحمد، ثورة الزنج و قائدها علي بن محمد 255هـ - 270هـ/869-883) دار الفارابي ، بيروت ، 2007 .

22- عمارة ، محمد ، ثورة الزنج ، المنشأة الشعبية ، 1979 .

23- العيدروسي ، محمد حسن ، التاريخ السياسي و الحضاري للدولة العباسية، دار الكتاب الحديث، القاهرة ، 2011 .

24- (- -) ، العلاقات الخارجية و المعارضة الداخلية و الثورات في الدولة العباسية ، دار الكتاب الحديث، القاهرة ، 2011 .

25- فهمي ، سعد ، العامة في بغداد في القرنيين الثالث و الرابع للهجرة، دار المنتخب العربي، بيروت ، 1993 .

26- قاسم ، ياسر جاسم ، القرامطة و العدالة الاجتماعية ، دار ضفاف ، بغداد ، 2018 .

27- الكبيسي ، حمدان عبد المجيد ، عصر الخليفة المقتدر بالله 295هـ-320هـ / 907-932م ، مطبعة النعمان ، النجف ، 1974 .

28- محمد حسن أحمد ، الشريف أحمد إبراهيم ، العالم الإسلامي في العصر العباسي ، ط5 ، دار الفكر العربي .

29- الملغوث، سامي عبد الله، أطلس تاريخ الدولة العباسية ، الرياض ، 2012 .

30- المهياني ، رفيق، تاريخ الخلافة الأموية و العباسية و الدول الإسلامية و العصور الوسطى في أوربا، دار اليقظة العربية ، دمشق ، 1946 .

31- ناجي ، عبد الجبار و آخرون، الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي ، مركز الإسكندرية للكتاب ، 2006 .

32- النجار ، محمد رجب ، الشطار و العيارون حكايات في التراث العربي ، عالم المعرفة، الكويت ، 1990 .

33- يحي ، فوزي أمين ، حميدة فتحي سالم ، تاريخ الدولة العباسية ، دار الفكر ، عمان . 2010

34- اليوزبكي ، توفيق سلطان ، الوزارة نشأتها و تطورها في الدولة العباسية ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، 1970 .

3/ المجلات :

1- الجبوري ، أحمد إسماعيل عبد الله، " تاريخ الأزمات الاقتصادية الإسلامية الأسباب و المعالجات العصر العباسي نموذجا، كلية ، جامعة الموصل ، العراق .

2- الجبوري ، إسماعيل محمد علي جاموس، " حركة العيارين و الشطار في العصر السلجوقي (447-590هـ/1055-1193م)، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية م15، ع2 (2020).

3- خضير ، نعيمة هادي، الكوارث الطبيعية و الوبائية و الظواهر الفلكية في العراق من خلال كتاب المنتظم لابن الجوزي، ع203 (2012) .

4- رضا، محمد سعيد ، حركة العيارين و الشطار العنف المدني في المجتمع العباسي خلال القرن 4هـ، إنسانيات، ع10 (2000) .

5- الزهراني ، ضيف الله بن يحي، " العجز المالي في الدولة العباسية (247 – 320هـ) أسبابه و الطرق التي أتبعت في علاجه"، جامعة أم القرى، ع2 (1409هـ).

6- السامرائي، حسام الدين، " الخلافة العباسية و الحركات المضادة بعد منتصف القرن3هـ)، حوليات آداب عين شمس، ع36 (2008) .

7- الفقيه ، حسين محمد حسين، " الشطار و العيارون في الدولة العباسية"، ليبيا ، ع15 (2012) .

8-كامل ، إسراء طارق، " المفارقة الدينية و الأخرقية في أدب العيارين و الشطار العصر العباسي نموذجا"، العلوم الإنسانية و المسألة الدينية، الجلسة العلمية 3 ، كلية الآداب .

9- مهدي ، الصادق عبد الرسول، " حركة الزنج بالعراق 255 هـ- 270هـ"، المجلة العلمية ، جامعة الإمام المهدي ، ع 8 (2016) .

4/ الرسائل الجامعية :

1- الألشي ، ناريمان صادق عبد القادر، الخلافة العباسية و عصر أمرة الأمراء 324هـ – 334هـ ، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر، إشراف محمد حمدي المناوي، تخصص التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية ، جامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة . 1979

2- الألشي ، ناريمان صادق عبد القادر، الدولة العباسية في عصر المعتضد بالله 279-289هـ / 892-902م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف محمد حمدي المناوي ، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، 1988 .

3- البندري، بنت عبد العزيز الخضر، نكبات الوزراء في العراق و آثارها على الأوضاع العامة إبان العصر العباسي الثاني، رسالة مقدمة للحصول على الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، إشراف علي بن صالح المحميدي، قسم التاريخ ، كلية اللغة العربية و الدراسات الاجتماعية ، جامعة القسيم ، المملكة العربية السعودية ، 2015 .

4- ذياب ، منى لطفي ذياب، خلافة المقتدر بالله 295هـ-320هـ دراسة في النواحي السياسية و الإدارية، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر، إشراف عبد العزيز الدوري ، تخصص التاريخ، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية ، 2003 .

5- الصوفي ، مساعد بن مساعد محمد، العوامل السياسية و أثرها في ضعف الخلافة العباسية، مذكرة لنيل درجة الماجيستر في التاريخ الإسلامي، إشراف ضيف الله بن يحي الزهراني ، قسم الدراسات العليا التاريخية و الحضارية ، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، 2008 .

6- عدوان ، منير حسن عبد القادر، مؤسسة بيت المال في صدر الإسلام، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ، إشراف جمال محمد داود جودة، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين ، 2007 .

7- محمد ، فاطمة سعيد خليفة، حركة الزنج و آثارها السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية على الدولة العباسية، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر، إشراف عبد القادر عثمان محمد، تخصص التاريخ الإسلامي ، كلية الآداب ، جامعة أم درمان الإسلامية ، 2009 .

8- المطيري، فهد مطر، التاريخ الاقتصادي للدولة العباسية في العصر العباسي الثاني 247 – 334هـ ، مذكرة للحصول على الدكتوراه في الاقتصاد المصارف الإسلامية، إشراف زكريا سلامة عيسى الشظاوي، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية ، جامعة اليرموك ، الأردن ، 2015 .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوعات	الصفحة
إهداء	
شكر و تقدير	
خطة البحث	
المقدمة	أ – ك
الفصل التمهيدي : الوضع العام في الدولة العباسية قبل نهاية العصر العباسي الأول	23-13
1- العصر العباسي الأول : 132 هـ – 232 هـ	23-13
الفصل الأول : الأحداث السياسية و الثورات في العصر العباسي الثاني	65-25
المبحث الأول : الوقائع السياسية	25
أولا : عصر سيطرة الأتراك	28-25
1- فترة الفوضى العسكرية 247 هـ- 256 هـ	33-29
2- فترة الاستقرار السياسي المؤقت من سنة 256 هـ- 295 هـ	35-33
3- فترة الفوضى السياسية مرة أخرى 295 هـ – 334هـ	39-36
4- فترة إمرة الأمراء 324 هـ – 334هـ	46-39
أ- خلافة الراضي	41-39
ب- ظهور منصب إمرة الأمراء	46-41
المبحث الثاني : الثورات الداخلية	65-47
1- ثورة الزنج	61-47
2- ثورة القرامطة	65-61
الفصل الثاني: الأزمات الاقتصادية في العصر العباسي الثاني	106-67
البحث الأول : الفساد الإداري و المالي	69-67
1- فساد الوزراء و سوء أدائهم	77-69
المبحث الثاني : الأزمات المالية و إفلاس الخزينة	91-78
المبحث الثالث : الكوارث الطبيعية و الأوبئة	106-92
1- الكوارث الطبيعية	104-92

أولا : الكوارث المتعلقة بالعامل المناخي	97-92
ثانيا : الكوارث الطبيعية و الجيولوجية	100-97
ثالثا : الفياضانات و السيول	104-100
2- الأوبئة و الأمراض	106-104
الفصل الثالث : آثار الأحداث و الأزمات الاقتصادية على الدولة العباسية	138-108
المبحث الأول : أثر الأحداث و الثورات على الحياة الاقتصادية	115-108
المبحث الثاني : النتائج المترتبة عن الأزمات الاقتصادية	132-116
أولا : تغيير طرق الجباية	120-116
ثانيا: المصادرة	124-120
ثالثا : فرض الضرائب	126-124
رابعا : الاهتمام بالقطاع الزراعي	128-126
خامسا: الاستعانة ببيت المال الخاصة	129-128
سادسا : بيع الضياع و المتاع	131-130
سابعا : إنشاء مصرف رسمي	132-131
المبحث الثالث : ظهور فئة الشطار و العيارون	138-133
خاتمة	142-140
قائمة الملاحق	148-144
قائمة المصادر و المراجع	159-150
فهرس الموضوعات	162-161
ملخص البحث	163

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى بيان الأحداث السياسية للدولة العباسية في عصرها الثاني حيث شهدت فترة من الفوضى و اضطراب و تحكم الأتراك في السلطة كما ظهرت فتن و ثورات داخلية أهمها ثورة الزنج و القرامطة و التي خلفت خسائر مالية للدولة، بالإضافة إلى معرفة الأزمات الاقتصادية التي تعرضت لها الدولة و التي تنوعت أسبابها من أسبابها سياسية و إدارية و مالية و طبيعية مما أدت إلى أزمات مالية و فراغ خزينة الدولة .

Traduction

This study aims to explain the political events of the abbasid state in its second ear, where it witnessed a period of chaos turmoil and the control of the turks in power sedition and internal revolutions also emerged, the most important of which is the zanj and qarmation revolution, which left financial losses for stat in addition to knowing the economic crises that the caliphate was subjected to, the causes of which varied from political, administrative, financial and natural which les to the occurrence of. Financial crises and the emptying of the state treasury .

الكلمات المفتاحية : **العصر العباسي الثاني – الأتراك – الزنج – القرامطة – الأزمات الاقتصادية**

key words: the abbasid state in its second – the turks – the zanj – qarmation – economic crises